البيان

في حقائق ذكر اللّه القلبي

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ

بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾

[الأعراف: ٢٠٥]

تأليف المربي:

د. محمد خير فاطمة النعيمي

الإهداء:

- إلى كل مسلم في كل زمان ومكان يسعى إلى الوصول إلى مقام الإحسان:

(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

- ويسعى إلى طمأنينة قلبه كما قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

- ويسعى إلى الشعور بقرب الله والأنس به والتلذذ بذكره والوصول إلى محبته وتحقيق قوله سبحانه: ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

- ويسعى إلى الوصول إلى رضا الله عنه، كما قال تعالى:

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ [البينة: ٨].

- إلى هؤلاء كلهم أقدم كتابي هذا راجياً من الله القبول ومنهم الدعاء.

المؤلف

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد إمام الذاكرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

- ينبغي للمؤمن في كل زمان ومكان، وعبر العصور والأزمان أن يُحسن التعامل مع الولاء والانتماء بأن يكون ولاؤه لله ورسوله، وللقرآن الكريم والسنة المطهرة ولتعاليم الدين الحنيف والشرع القويم، وأن تكون علاقته مع المؤمنين كافة ضمن هذا الولاء.

- وقد يكون للمؤمن انتماء إلى مدرسة تربوية، أو إلى شيخ مربٍّ أو معهد شرعي، أو جماعة إسلامية، أو غير ذلك فينبغي له تقدير هذا الانتماء وحبَّه واحترامه والتمسك به بشرط أن يكون هذا الانتماء صادق التوجه والتوجيه نحو الولاء الصحيح، لا أن يكون هذا الانتماء داعية للتفرد أو الأنا أو الهيمنة أو العجرفة أو السخرية أو الاستهزاء أو التقليل من أصحاب الانتماءات الأخرى المتمسكة بالقرآن والسنة أو وصفهم بالضلالة أو الكفر أو النفاق أو البدعة فإن حدث ذلك فإنّ في هذا الانتماء بعداً عن الدين الحنيف والشرع القويم، فينبغي للمسلم حينئذ عدم التأثر بهذا الانتماء والتمسك بآرائه وأفكاره لأنه ابتعد عن تعاليم الإسلام ومبادئه فالولاء الحق حتماً أهمُّ وأعلى وأحقُّ أن يُتّبع من هذا الانتماء الخاطئ.

- وإني لأعجبُ من أصحاب الانتماءات المختلفة وهم يستسهلون وصف غيرهم بالابتداع أو النفاق أو الكفر أو الخروج عن تعاليم الدين مجرد أنهم خالفوا آراءهم، وما يدريهم أنهم على حقٍّ وغيرهم على خطأ؟

الميزان الحقيقي هو تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة وفقط، لا آراؤهم ولا أفكارهم ولا منهجهم ولا خصوصياتهم.

- العلماء الحقيقيون يقولون:

(**رأينا صواب ويحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأٌ ويحتمل الصواب**).

هذا هو المبدأ الحقيقي في اختلاف الانتماءات في مواضيع تخصهم وآراء يتمسكون بها.

- ولا بأس بالحوار والنقاش والجدال بالتي هي أحسن، ولكن يجب ألّا يعقب ذلك أن يُكفّر بعضنا بعضاً إلا إذا وضح الكفر أو النفاق بالخروج عن تعاليم الدين الحقيقي في ثوابته وما عُرِفَ منه بالضرورة.

- أما في اختلاف الآراء والمذاهب والأفكار والفهم والتأويل أو في غير ذلك فيجب التزام أدب الحوار ضمن ضوابط الشرع دون الوصف بالنفاق أو الكفر أو الابتداع.

_ قال عبد الله بن عباس: " **وَيْلٌ لِلْأَتْبَاعِ مِنْ زَلَّةِ الْعَالِمِ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَقُولُ الْعَالِمُ الشَّيْءَ بِرَأْيِهِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْهُ فَيُخْبِرُهُ وَيرْجِعُ، وَيَقْضِي الْأَتْبَاعُ بِمَا حَكَمَ** ".

[أخرجه البيهقي في سننه]

- وبارك الله بكل عالم لا ينسى وصف النبي ﷺ لأحد أصحابه بأنه من أهل الجنة وعند تعقب أمره لم يكن كثير علمٍ أو فقه أو صلاة أو صيام أو قيام أو صدقة إلا أنه إذا وضع رأسه على وسادته أزاح من قلبه اختلافه مع الناس وسامحهم.

- كثيرٌ من المؤمنين يرون من حولهم الكثير من المفاسد والمعاصي والآثام ولا تتمعّرُ وجوههم من ذلك، ولا يقفون موقف الناقد البصير، ولا الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بل قد يداهنونهم ويسامرونهم ويعاملونهم وكأن شيئاً لم يكن أما إن وجدوا أحداً على غير انتمائهم قد فتح الله عليه في عبادة شرعية ما، مقيّدةٍ بالدين، أو طريق في الدعوة إلى الله لكنه خالف ما هم عليه من الآراء والأفكار فإن قيامتهم تقوم وغيرتهم الجاهلية لا تقعد منتقدين ومعادين وأسهل شيء عليهم رميهم بالبدعة أو النفاق بل وبالكفر والعياذ بالله.

- أخي المسلم اعد حسابك مع الولاء والانتماء وعامل الآخرين معاملة شرعية حقيقية، نعم الولاء لله ولرسوله وللقرآن الكريم والسنة المطهرة والدين الحنيف والشرع القويم يدعونا ألا نرضى بأي بدعة مخالفة للشرع

و على سبيل المثال في موضوع الذكر ومجالسه وما قد يحدث فيها: من الصياح أو الرقص أو الغناء أو الاختلاط أو أكل الزجاج أو غير ذلك من الأمور التي تُشاهد في بعض مجالس الذكر وتُنسب للتصوف والتصوف منها براء ولكن ينبغي ألا يدعونا ذلك لمعاداة أهل التصوف الحقيقيين أهل الذكر

والعرفان أمثال الحسن البصري والجنيد والفضيل وغيرهم المعروفين المشهورين بعلمهم وتقواهم وورعهم وتمسكهم بالولاء الحق وبعدهم عن كل بدعة ضلالة وغايتهم التمسك بشرع الله وتزكية النفوس وتطهيرها من آثامها والوصول بها إلى مقام الإحسان.

- يلخص كل ذلك ما قاله الإمام سهل التستري . وهو من كبار العلماء و أهل التصوف وأهل الله وأحبابه: (أصولنا ستة: التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق).

- من هذا القبيل فإني أقدّم بعض الحقائق في ذكر الله القلبي الخفي النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة البعيدة عن البدع والشبهات وما يخالف الدين والشرع.

- هذه الحقائق النابعة من الولاء الحقيقي، فلا ينبغي للمؤمن أن يعاديها لأنها تخالف أفكار انتمائه، إن أحبها واقتنع بها مارسها وواظب عليها وإن لم يقتنع بها وله ملاحظات عليها فليدع أمرها والحكم عليها لله عزَّ وجلَّ حتى لا يقع حكمه في خطأ يُحاسب عليه يوم القيامة يوم لا ينفع الندم من وراء رمي الآخرين بالابتداع أو النفاق أو الكفر.

- وفي هذا المقام ما أجمل أن نحافظ على دعاء النبي ﷺ الذي يحافظ عليه كل صباح، مع ترديده يومياً والعمل به وهو يبين لنا كيف نتعامل مع الاختلاف فيما بيننا.

فقد روى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». [أخرجه مسلم]

- اللهم ألهمنا الصواب في آرائنا وأفكارنا وما ندعو إليه واجعلنا ممن يلتزمون بشرعك وقرآنك وسنة نبيك وباعد بيننا وبين الضلالة والفسوق والعصيان والنفاق والكفر كما باعدت بين المشرق والمغرب واجعل أعمالنا خالصة لوجهك مقيَّدةً بتعاليم شرعك.

❁ ❁ ❁

الذكر في القرآن الكريم

- ينبغي للمؤمن أن يتقيّد بتعاليم القرآن الكريم وأن ينفّذ أوامره كاملة وعجباً من مؤمن يتلو كتاب الله ويختمه عدة مرات ولم ينتبه إلى توجيهات القرآن الكريم وحثّه على ذكر الله عزَّ وجلَّ ووجوب أدائه في كلِّ حالاته وفي كلِّ أعماله وتصرفاته وفي ليله ونهاره وفي السرّاء والضراء.

- هذا وينبغي للمسلم أن يعلم أن القرآن الكريم لم يعالج مسألةً كما عالج موضوع الذكر في العديد من الآيات وفي التفصيل فيما يتعلق به، فقد ذكر موضوع الذكر في القرآن الكريم مع كل مشتقاته في العديد من آيات الله التي تعتبر أعدادها من الكلمات القليلة التي ذكرت بهذا العدد الكبير بالنسبة للمواضيع الأخرى مما يدل على أهميته ويتبين لنا ذلك من خلال العديد من آيات القرآن الكريم أذكر منها ما يلي لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل المثال:

- فقد جاء القرآن الكريم آمراً وحاثاً على ذكر الله عز وجل في آيات كثيرة فاقت مواضيع القرآن الأخرى مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بالتوجيه نحو ذكر الله عز وجل ولم يكن أمر القرآن الكريم بالذكر والحث عليه عادياً عابراً وإنما أمر به بالكثرة فقال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١].

- ثم وصف الله عز وجل أولي الألباب أي أولي العقول الراجحة التي تحمل أنقى الإيمان بأنهم لا يغفلون عن الله عز وجل أبداً بكل أحوالهم

المعتادة قائمين أو قاعدين أو مضطجعين فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران: ١٩٠ –١٩١].

– ولقد جعل الله طمأنينة القلوب وسعادتها وانشراحها بذكر الله عز وجل فقال سبحانه:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

وفي هذا الموضوع يقول أحد الذاكرين:

بذكر الله ترتاح القلوب ... ودنيانا بذكره تطيب

ويقول آخر:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحياناً فننتكس

– بل نهانا الله عز وجل عن الغفلة عن الذكر وبين حالة هذا الغافل أنه من الخاسرين في الدنيا والآخرة فقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9) ﴾ [المنافقون: ٩].

ووصف الله عز وجل المؤمنين الصادقين بأنهم لا يلتهون عن الذكر بأعمال الدنيا فقال سبحانه: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧].

- ثم حذر الله عن الإعراض أو الغفلة عن ذكر الله لأن ذلك سيؤدي إلى أن تكون حياة الإنسان صعبة ضيقة ممتلئة بالمصاعب والمتاعب والمكاره والأحزان فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه: ١٢٤].

والإعراض هو الترك والتولي والصدود وعدم العمل والاستماع.

قال ابن عباس: "فإن له معيشة ضنكاً يعني: الشقاء".

وقال غيره: "معيشة ضنكاً أي تعاسة وضيقاً في كل أمر من أمور حياته المادية والمعنوية في الدنيا والبرزخ والآخرة"، كما قال تعالى:

﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾[الجن: ١٧].

أي: عذاباً شديداً بليغاً.

- كما بين سبحانه وتعالى أن من صفات المنافقين الغفلة عن ذكر الله الواجب الكثير فقال وهو يتحدث عن صفات المنافقين:

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء: ١٤٢].

- ثم تحدث الله عز وجل عن أولئك الذين قست قلوبهم بسبب بعدهم عن ذكر الله بأن الويل لهم أي الشقاء والتعاسة في الدنيا وويل لهم في الأخرة أي أن منزلهم هناك في جهنم في واد به أشد العذاب فقال سبحانه:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[الزمر: ٢٢]

- هذا وقد تحدث الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين عند حديثه عن منزلة الذكر فقال وهو يتحدث عن الذكر وأهميته وهو (أي الذكر) في القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لَهَا عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها فمتى أهملته كانت كالجسد بلا روح.

❁ ❁ ❁

الذكر في السُّنّة النبوية

- كذلك فإن النبي ﷺ أكثر من الحديث عن موضوع الذكر وما يتعلق به وبأنواعه المتعددة ، وحث على التزام الذكر في كل عمل من أعمالنا اليومية في مناسبات متعددة ، مع تبيان أهمية الذكر وفوائده ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله ﷺ: « **مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»[أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه] وقوله ﷺ:

«**أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ**» [أخرجه أحمد وغيره عن أبي سعيد]

- وقال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » **قَالُوا: بَلَى. قَالَ:** «**ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى**» [أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه]

- كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» **قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:** «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

وفي رواية للترمذي قالوا: **وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** «**الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً**».

والمراد بـ (سبق المفردون) أي الذين تفردوا بذكر الله و(المُسْتَهْتَرون) بفتح التاءين هم المولعون بالذكر والمداومون عليه.

- وقوله ﷺ: «**لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا**». [أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل]

- وعن أنس رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَيُّ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْراً**» قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: " **أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ذِكْراً**، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصَّدَقَةَ كُلَّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ ذِكْراً**»،

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ ب: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَجَلْ**». [أخرجه الطبراني]

- وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ إِنَّكُمْ تُرَاءُونَ**». [أخرجه الطبراني عن ابن عباس]

- وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**».

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

معنى ذكر الله

للذكر معنيان:

المعنى الأول: أن تتذكر الله في كل وقت وحين في الذهن و الفكر ومع القلب و الفؤاد والنفس والروح، وعدم الغفلة عن ذلك أبداً وذلك بأن ترى الله معك في كل أحوالك لا يغيب عنك أبداً يعلم سرك و جهرك و ما تخفي وما تعلن واستشعارك أن الله تعالى ناظرٌ إليك وشاهدٌ عليك وتستشعر بقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٤﴾ ﴾.

[الحديد: ٤]

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

-قال أحد العشاق الذاكرين: "كن مع الله ترى الله معك".

-قال أحد العارفين الذاكرين : (إن ذكرك لله ليس استحضاراً لغائب ، إنما هو حضورك أنت من غيبته ، و إقامتك من غفلة)

- و لله در القائل :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي   و هل أنسى فأذكر ما نسيت

المعنى الثاني: ألا يغفل لسانك وقلبك عن الله بدوام الذكر بكل أنواع الذكر تذكره في يقظتك وعند نومك، تذكره في طعامك وشرابك وملبسك، تذكره في بيعك وشرائك ووظيفتك، تذكره في بيتك وسوقك، تذكره في سفرك وحلك، تذكره في كلامك وبصرك وسمعك، تذكره في نيتك وأحاسيسك تذكره بالأوراد التي بينها النبي ﷺ في كل أمر من هذه الأمور.

- يقول ابن عطاء الله السكندري: "الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل: ترديد اسم الله بالقلب واللسان، أو ترديد صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى".

[مفتاح الفلاح لابن عطاء الله السكندري ص ٧].

- وقال الإمام القشيري: "الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر" [الرسالة القشيرية ص٢٢١].

_ وقال الإمام الرفاعي: "قال أهل الله عز وجل: من ذكر الله فهو على نور من ربه، وعلى طمأنينة من قلبه، وعلى سلامة من عدوه"

[البرهان المؤيد ص ٣٨].

- قال أحد الأولياء الذاكرين : (إذا أراد الله بعبده خيراً حبب إليه ذكره ، و نعمتان أنعم الله بهما على العباد:

متى رجع إليه وجدوه و متى شاؤوا ذكروا

– و كان جعفر بن زيد يقول :

ما أحلى ذكرك في أفواه الأبرار ، و ما أعظمك في قلوب المؤمنين

– و لله بر القائل :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رآك القلب أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده و صرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم و لذتهم شغلاً بذكرك يا ديني و دنيائي

– وقد أجمع العلماء من أهل الذكر أنه لا توجد عبادة تدور مع الإنسان ليلاً ونهاراً قائماً قاعداً مضطجعاً وفي جميع أحواله وأفعاله وحركاته وسكناته وأوقاته، وفي البيت أو الطريق أو في الصحة أو المرض كعبادة ذكر الله عز وجل أبداً وهي عبادة لا تحتاج إلى طهارة ولا استقبال للقبلة ولا ستر للعورة.

❁ ❁ ❁

كيف أذكر الله الذكر الكثير

- وذلك بأن تذكر الله كما أمرك في قرآنه و تذكره كما علمك النبي ﷺ في سنته وينبغي للمسلم أن يذكر الله عزَّ وجلَّ بكل أنواع الذكر ولا يكتفي بأحد هذه الأنواع وهي كثيرة أذكر أهمها:

أولاً: القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

- وقال سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ص: ٨٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾.
[القمر: ١٧]

فقارئ القرآن ذاكرٌ ومن يحفظ آية من آياته فيرددها فهو ذاكر، ومن يستمع إلى القرآن، ويفكر في معانيه فهو ذاكر، ومن يعمل بأوامر القرآن وينتهي عن نواهيه فهو ذاكر.

بل إن القرآن الكريم هو أعظم الذكر، لأن قراءته تلاوة لكلام الله ﷻ الذي فيه الشفاء من كل داء، ففيه آيات بينات من لدن حكيم عليم، تدخل القلوب، وتطمئن لها النفوس، وتقشعر لها الأبدان، ويزداد بها القارئ إيماناً، ويسرع إلى تطبيقها، وتنفيذ أوامرها، والبعد عن نواهيها، فتتهذب بها نفسه، ويطمئن بها قلبه، وتسمو روحه، فيصبح وكأنه ملك يمشي على وجه الأرض.

وينبغي للذاكر بالقرآن الكريم بكل أشكاله عدم الاكتفاء بالذكر

بقراءة القرآن وحفظه فقط وإنما يجب أن يذكر الله بأنواع الذكر الأخرى اتباعاً لوصية سيدنا محمد ﷺ لأبي ذر:

«**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذُخْرٌ لك في السماء**». [أخرجه ابن حبان و صحيحه]

ثانياً: أداء الفرائض: أداء الفرائض ذكر لله عز وجل، فالصلاة مثلاً فيها ركوع وسجود، وقراءة للقرآن وتسبيح و تحميد و تكبير وتهليل، وكل ذلك ذكر لله عز وجل، لأن الغاية من العبادات ذكر الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه: ١٤].

كذلك الصوم والزكاة والحج كلها ذكر لله عز وجل.

ثالثاً: العلم: مجالسة العلماء، وطلب العلم، وقراءته ومدارسته وتدريسه، وحفظه وتحفيظه، والغدوّ والرّواح في طلبه، كل ذلك ذكر لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] وأهل الذكر هنا: أهل العلم.

رابعاً: ذكر الله عز وجل بجميع أشكاله: كذكر أسمائه وصفاته، أو تسبيحه وتحميده، وتمجيده وتكبيره، وتهليله واستغفاره ودعائه، كل ذلك ذكر لله عز وجل، وذكر الله هذا على نوعين:

١- ذكر الله الخاص بالأعمال والأوقات والمناسبات:

وذلك بأذكار وأدعية وجهنا إليها رسول الله ﷺ في سيرته وأحاديثه كدعاء الاستيقاظ أو دعاء دخول بيت الخلاء، أو الخروج منه أو دعاء

الطعام أو الشراب أو اللباس، أو غير ذلك.

٢- **ذكر الله العام وتسبيحه:** في كل الأوقات والأحوال، وخاصة عقب الصلاة، وفي الصباح والمساء، قال تعالى:

﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾

[آل عمران: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾** ﴾[الأحزاب: ٤٢].

ويتوضح هذا النوع من ذكر الله عز وجل في وصية النبي ﷺ للمؤمنين:

«**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**». [أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

وهذا الذكر على ثلاثة أنواع:

أولاً: ذكر اللسان: الذي كان يرشد إليه الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه كقوله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ**».

[أخرجه أحمد والبيهقي عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه]

ثانياً :ذكر القلب: الذي وجه الله إليه في قوله سبحانه:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وفيه قال ﷺ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ** » [أخرجه أحمد عن سعد بن مالك].

وقال ﷺ: «**اذكروا اللهَ ذكراً خاملاً قيل وما الذكرُ الخاملُ قال الذكرُ الخَفيُّ**» [أخرجه ابن المبارك عن ضمرة بن حبيب مرسلاً]

وقال المناوي حديث حسن في جامع الأحاديث.

وقال ﷺ: مشيراً لأهمية الذكر الخفي: «**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً**».

[أخرجه البيهقي عن عائشة ل وهو حسن لغيره]

ثالثاً: الذكر العملي: وهو أن يذكر المسلم ربه في جميع أحواله وأعماله، وأن يراقبه في كل حركاته وسكناته، ولا يغفل عنه أبداً، وقد عبر العارفون عن هذا الذكر بقولهم: نعيش مع الناس بأجسامنا في هذه الحياة في معاملتنا لهم واختلاطنا بهم وبيعنا وشرائنا، لكن قلوبنا في كل ذلك مع الله ﷻ لا نغفل عن ذكره وتذكره أبداً.

وفي هذا تقول رابعة العدوية:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي   وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس   وحديث قلبي في الفؤاد أنيسي

❁ ❁ ❁

فوائد الذكر

- الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو منشور الولاية إلى الله الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقته صارت الأجساد له قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بواراً ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به أعداءهم، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، وهو السبب الواصل بين الذاكر وربه والعلاقة التي بينه وبين علام الغيوب.

- به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم.

- وهو جلاء القلوب وصقالتها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، فهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

- ولقد تحدث أهل العلم وأهل الله وأولياؤه عن فوائد الذكر وأن للذكر فوائد جمة ولخصها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم [الوابل الصيب] فقال: (للذكر أكثر من مئة فائدة).

- **منها** أنه يرضي الرحمن عز وجل، ويطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويزيل الهم والغم والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

- **ومنها** أنه يقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق.

- **ومنها** أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورث محبة الله تعالى التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

- **ومنها** أنه يورث المراقبة لله حتى يدخل العبد في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ويورث المعرفة والإنابة والقرب وحياة القلب، فعلى قدر ذكر العبد لربه يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه.

- **ومنها** أنه قوت القلب وروحه ويجلو صدأه، ويحط الخطايا ويذهبها، ويرفع الدرجات، ويحدث الأنس، ويزيل الوحشة، وينجي من عذاب الله.

- **ومنها** أنه يوجب تنزل السكينة، وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر، ويشغل عن الكلام الضار، ويسعد الذاكر، ويسعد به جليسه، ويؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

- **ومنها** أنه مع البكاء سبب إظلال الله للذاكر، وبه تحصل العطايا والثواب المتنوع من الله تعالى.

- **ومنها** أنه يثمر المعارف والأحوال الجليلة، والذاكر قريب من مذكوره والله معه وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله.

- ومنها أنه يعين على طاعة الله ويسهل كل صعب، وييسر الأمور، ويعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه.

- **ومنها** أنه سد بين العبد ونار جهنم، وتستغفر الملائكة للذاكر، وتتباهى الجبال وبقاع الأرض بمن يذكر الله عليها، وتشهد له.

والذكر أمان من النفاق والغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل والظلم.

- **ومنها** أنه شفاء لقسوة القلوب، فقد قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي فقال أذبه بالذكر، وقال مكحول: ذكر الله شفاء وذكر الناس داء.

- **ومنها** أن الذكر أمان من النفاق لأن المنافقين قليلوا الذكر.

- **ومنها** أن للذكر من بين الأعمال الأخرى لذة لا يشبهها شيء فقد قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل.

- **ومنها** أن الذكر يعطي الذاكر قوة في قلبه وفي بدنه حتى أنه ليفعل الذكر مع الذاكر ما لم يظن فعله بدونه.

ثمرات الذكر

- إذا كان الإيمان شجرة باسقة جذورها العقيدة الصحيحة بالله، وفروعها العمل الصالح النافع، وثمارها الأخلاق الكريمة الطيبة، فإن ماءها الذي تُسقى به والذي فيه استمرار حياتها إنما هو ذكر الله تعالى.

- ولقد بين الله تعالى أن الذكر هو أكبر و أعظم من أي عبادة أخرى بل المقصود من العبادات كلها ذكر الله عز وجل قال تعالى:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا ﴾.

[العنكبوت: ٤٥]

- **هذا وللذكر ثمرات كثيرة** ينبغي أن تظهر في حياة الذاكر لله تعالى لخص ابن القيم في الوابل الصيب ثمرات الذكر فقال:

-"ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة وينزع التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات".

- هذا ومن ثمرات الذكر أنه أقصر طريق يوصل إلى معرفة الله حق المعرفة، وحبّه حق المحبة والأنس به، وبه يصل المسلم إلى طريق الإحسان بمقاميه: المشاهدة والمراقبة.

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»

[أخرجه البخاري].

أي مراقبة العبد لربه بقلبه ووارده الأُنس، ومراقبة العبد لنظر ربه إليه ووارده الهيبة، دائماً قلبه في ترديد: الله معي – الله ناظر إلي – الله يراني – الله يسمعني – الله مطلعٌ على سريرتي وعلى جميع أحوالي.

– قال أبو القاسم القشيري: "الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه، بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحدٌ إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر".

– وقال مالك بن دينار: (ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عزَّ وجلَّ).

– وفي بعض الكتب السالفة يقول الله: (معشر الصديقين بي فافرحوا، وبذكري فتنعموا).

فالذكر يحدث في القلب فرحاً بالله وأنساً برضوانه لا يعرفه إلا من جربه وخبره فالفرح والسرور والأنس ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة لذلك قال أحد العارفين الذاكرين:

"إن في الدنيا جنة ومن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة" ويقصد بكلامه حالة أهل الذكر مع الله، ثم قال: "ما يصنع بي أعدائي، أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي لا تفارقني".

وقال آخر: "لو علم الغافلون عن ذكر الله ما نحن فيه من الأحوال لجالدونا عليه بالسيوف".

وقال آخر: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ، وقيل له وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله ومعرفته وذكره".

– من هذا القبيل قال أحد أطباء الغرب النفسيين "بريل":

"إن المؤمن المتدين حقاً لا يعاني من أي مرض نفسي أبداً ".

- **من ثمرات الذكر** أنه يؤدي إلى الوصول إلى العلاقة الصحيحة بين الذاكر وربه فهو يورث ذكر الله للذاكر، كما قال تعالى:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ : "اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي".

- وقال أحد العارفين: إني أعلم متى يذكرني ربي سبحانه وتعالى، ففزعوا منه وقالوا: كيف ذلك؟ ، فقال إذا ذكرته ذكرني.

- **ومن ثمرات الذكر** أنه يورث معية الله كما قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي:

«قال الله تعالى: **وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

وكما جاء في الحديث القدسي أيضاً: **"أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ"**. [أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

- **ومن ثمرات الذكر** أنه يوصل الذاكر إلى تحقيق قوله تعالى:

﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ فقد روت السيدة عائشة قولها: "من أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذكره". [أخرجه الديلمي في مسند الفردوس]

وقال ﷺ: «**عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكْرِ اللهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللهِ**». [أخرجه البيهقي في شعبه عن أنس بن مالك]

– جاء في أثر إلهي: «يقول الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدي ذكري أحبني وأحببته».

وأي شيء يتمناه المؤمن أكثر من هذا، فإذا ما انشغل بالذكر أعطاه الله فوق ما يريد، فقد جاء في الحديث القدسي: «**يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»

[أخرجه ابن أبي شيبة عن المالك بن الحارث]

– **ومن ثمرات الذكر** أنه يورث طاعة الله والبعد عن معصيته كذلك فإن طاعة الله تورث ذكره، قال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَ اللهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ، وَإِنْ قَلَّتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَمَنْ عَصَى اللهَ فَقَدْ نَسِيَ اللهَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ**».

[أخرجه البيهقي في شعبه عن أبي عمران]

وفي هذا المجال نستذكرُ قصة العارف بالله العالم الفاضل سهل بن عبد الله التستري قال:

"كنت ابْن ثَلاث سنين وكنت كثير الزيارة إلى بيت خالي محمد بن سوار (وهو من كبار العارفين بالله) وكنت أقوم بالليل أنظر إِلَى صلاة خالي وَكَانَ يقوم بالليل فربما كَانَ يَقُول لي: يا سهل اذهب فنم فَقَدْ شغلت قلبي.

قَالَ: قَالَ لي خالي يوما ألا تذكر اللَّه الَّذِي خلقك؟ فَقُلْتُ: كَيْفَ أذكره؟

فَقَالَ: قل بقلبك عِنْدَ تقلبك فِي ثيابك ثَلاث مرات من غَيْر أَن تحرك بِهِ

لسانك اللَّه معي اللَّه ناظر إلي اللَّه شاهدي فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلاث ليال ثُمَّ أعلمته.

فَقَالَ لِي: قل فِي كُل ليلة إحدى عشرة مرة فَقُلْتُ ذَلِكَ فوقع فِي قلبي لَهُ حلاوة فلما كَانَ بَعْد سنة.

قَالَ لِي خالي: احفظ مَا علمتك ودم عَلَيْهِ إِلَى أَن تدخل القبر، فَإِنَّهُ ينفعك فِي الدنيا والآخرة، فلم أزل عَلَى ذَلِكَ سنين فوجدت لَهَا حلاوة فِي سرى ثُمَّ قَالَ لِي خالي يوما: يا سهل من كَانَ اللَّه مَعَهُ وَهُوَ ناظر إِلَيْهِ وشاهد أيعصيه؟ إياك والمعصية".

- **ومن ثمرات الذكر** أنه دواء للنفوس والقلوب من أمراضها، وبه تطمئنُّ القلوب وتتلذذ به الأرواح والنفوس، فالذكر يطرد الشيطان ويُضعفه ويزيل الهم والغم عن القلب، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** ﴾[الرعد: ٢٨].

- وكيف لا وذكر الله يُشعر الذاكرَ بقرب الله منه فيأنس بقربه ويتلذذ بذكره ويتلمس عظمته وقدرته، فيبكي لحاله وما ألمَّ به، فيحس بعناية الله به، ويطرب بحنان الله وعطائه، ويرضى بقضائه، فإذا ما قام من ذكره قام وقد شفي من مرضه فقويت عزيمته وزال غمّه وألمه.

قال الشاعر:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   ونترك الذكر أحياناً فننتكسُ

- وقال أحدُ العارفين: "الذكر ترياق المذنبين، وأُنس المنقطعين، وكنز المتوكلين، وغذاء المؤمنين، وحُلية الواصلين، ومبدأُ العارفين، وبساط المقربين،

وشراب المحبين".

- وقال أحد الذاكرين العارفين من الأولياء: "المؤمن يذكر الله تعالى بكله، لأنه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه إلى ذكره فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر في المعنى، فإذا امتدت يده إلى شيء ذكر الله فكف يده عما نهى الله عنه، وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله فوقف عن السعي إلا فيما يرضي الله، وإذا طمحت عينه إلى شيء ذكر الله فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى، ومراعاة أمر الله، والحياء من نظر الله فهذا هو الذكر الأكبر الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾. [العنكبوت: ٤٥]

قال العلماء: ولذكر الله أكبر، أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر.

- **ومن ثمرات الذكر** أنه يغير حال الذاكر ومعاملاته مع الآخرين من السيئ إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن ساعياً إلى الأكمل في تقويم أخلاقه وتهذيب سلوكه وتصرفاته مع الآخرين فإذا به يتأدب بآداب الإسلام السامية وأخلاقه القويمة وسلوكه المنير وذلك من خلال تأثره بأحوال الذكر وارتباطه بمفاهيمه وتعاليمه وغاياته والسعي للمحافظة على عطاء الله له ونعمه وفضله ليحافظ على ما أكرمه الله من أنس به وشعور بقربه وتلذذ بذكره وتنعم بعطائه كما ورد في الأثر الإلهي:

(من ذكرني حين يغضب ذكرته حين أغضب ولا أمحقه فيمن أمحق).

- يقول الشيخ التهانوي الهندي رحمه الله: يظن بعض الناس بعد ترديدهم لكلمة **الله** مئة ألف مرة أنهم أتوا بالذكر مع أنهم لم يأتوا بحقيقة الذكر وإنما أتوا بصورة الذكر، وبأثر من آثاره لأنهم لو كانوا أتوا بحقيقة الذكر لم تخل حياتهم من الأعمال الحسنة الأخرى.

- ويقول عبد الباري الندوي في كتابه (بين التصوف والحياة):

إن شغل الباطن بإدامة الذكر واجب للوصول إلى الرتبة العليا في الذكر، والمراد منه التفات القلب بالذكر الباطن حيث يستقر ذكر الله في القلب فيكون رضا الله وعنايته ومحبته وجلاله وعقابه وثوابه نصب عينيه في أحوال الحياه كلها من حركات وسكنات، وبعد ذلك يجب على المرء ألا يقع في المعاصي وألا يتعمد ذنباً سواء كان صغيراً أو كبيراً إلا لغفلة بشرية أو عند نسيانه.

- **ومن ثمرات الذكر** أن يستكمل الذاكر إيمانه بحب من أحب الله وبغض من أبغضه وأن يعطي لله ويمنع لله، كما جاء في حديث ﷺ:

«**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**».

[أخرجه أبو داود عن أبي أمامة]

- **ومن ثمرات الذكر** أنه يوصل الذاكر إلى حالة إيمانية عظيمة إلى حدّ اليقين بالله والثقة به فيطمئن بقدر الله وقضائه ويرضى بعطائه ويقتنع بفضله ويُسرُّ بقضائه ويصبر على بلائه ويشكر نعماءه وينتظر فرجه فترى

الذاكر من وراء ذكره الكثير مشرق الوجه مبتسماً، دائم الرضى بما تواجهه الحياة من بلايا ومحن ومصائب وفتن لأنه على يقين أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنه على يقين أن مع العسر يسرا وعلى يقين بقوله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًۭٔا وَهُوَ خَيْرٌۭ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًۭٔا وَهُوَ شَرٌّۭ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة: ٢١٦].

يردد قول العاشقين:

لا تكثر لهمك، ما قُدِّر يكون القضا تحتم فالزم السكون

لذلك ينبغي على المسلم الذاكر أن يسعى دائماً للأفضل والأحسن وألا يعجر مع كامل الرضى والصبر وأن يعمل للآخرة كما يعمل للدنيا يدعو دائما بدعاء القرآن:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۭ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةًۭ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.
[البقرة: ٢٠١]

- **ومن ثمرات الذكر أيضاً** المحافظة الشديدة على الطاعات وبأعلى أشكالها مع مجانبة اللهو واللغو و الإثم والمحرمات، مع الاستقامة على شرع الله في الأقوال والأفعال والمعاملات، قال الحسن البصري ﷺ: الذكر ذكران: ذكر الله تعالى بين نفسك وبين الله عزَّ وجل ما أحسنه وأعظم أجره! وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عن ما حرّم الله عزَّ وجلَّ.

- **أخيراً:** ينبغي للمؤمن أن يعلم أن أهم ثمرات الذكر ما بينه الله عز

وجل في قوله:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

- نعم إن من أهم الغايات عند المؤمن أن يطمئن قلبه، فالطمأنينة تعني أنه لا هم عنده، ولا حزن، ولا غم ولا شقاء، بل سعادة دائمة وسرور مستمر لا يكدره شائب ولا ينغصه غائب.

- نعم إن هذه الطمأنينة في القلوب بهذا الوصف مصدرها الوحيد ذكر الله عز وجل كما ذكر الله سبحانه.

- إذا كان المؤمن فقيراً، بذكره لله عز وجل والوقوف عند بابه يغنيه الله ويكفيه، ويبارك له، ويزيده من فضله، ويتغير حاله فيطمئن قلبه.

- إذا كان المؤمن مريضاً بذكره لله عز وجل والثقة به والوقوف على بابه يشفيه الله ويعافيه ويتغير حاله فيطمئن قلبه، مردداً قوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء: ٨٠].

قل للمريض نجا وعوفي بعد ما عجزت فنون الطب من عافاك

- إذا كان المؤمن صاحب حاجة بذكره لله عز وجل والوقوف على بابه يسهل الله له حاجته ويحقق أمانيه ورغباته فيطمئن قلبه مردداً قوله سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل: ٦٢].

- إذا كان المؤمن خائفاً بذكره لله عز وجل والوقوف على بابه يزيل الله خوفه ويجعله في مأمن وفي أمان دائم فيطمئن قلبه.

– إذا كان المؤمن تعيساً متضايقاً من ظروفه وحياته بذكره لله عز وجل ووقوفه على بابه يزيل الله ما ألم به ويبدله سعادة لا توصف وعيشاً رغيداً فيطمئن قلبه.

– إذا كان المؤمن مخذولاً بذكره لله عز وجل ووقوفه على بابه يذهب الله عنه خذلانه ويجعله موفقاً ميموناً فيطمئن قلبه.

– إذا كان المؤمن مهموماً مغموماً بذكره لله والوقوف على بابه يصرف الله همه وغمه ويبدله راحة وسروراً وانشراحاً فيطمئن قلبه.

– **هذا وإن للذكر وإلى جانب ثمراته في الدنيا ثمرات عظيمة في الآخرة** يلخصها قوله سبحانه وهو يتحدث عن صفات كثيرة للمؤمنين الصادقين ومنها ذكر الله عز وجل فبين ما أعدّ لهم في الآخرة فيقول:

﴿ **وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[الأحزاب: ٣٥].

نتائج ذكر الله عز وجل

– إن من أهم نتائج ذكر الله عز وجل ما مر معنا في بحثَي فوائد ذكر الله عز وجل وثمراته، فكلها نتائج تنتج عن التزام المؤمن بذكر الله عز وجل في كل أحواله وكل أوقاته.

– هذا وإن لذكر الله عز وجل نتائج أخرى كثيرة في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا ينال الذاكر رضا الله ومحبته والطرب بذكره، والأنس بقربه، والشعور بمعيته، وذكر الله للذاكر، وتوفيقه له، مع انشراحٍ في صدرهِ ، ونور في قلبهِ ، لا يعادل كل ذلك شيء من الدنيا وما فيها.

– ومن هذه النتائج الكثيرة أن يستجيب الله لعباده الذاكرين دعاءهم، ويحقق آمالهم، ويزيل عنهم آلامهم وأحزانهم ويشفي مرضاهم، ويرفع عنهم كل ما أهمهم وأغمهم.

– وقد ضرب الله لنا في القرآن الكريم الكثير من المواقف المتعددة التي حقق الله فيها كل ذلك لأهل الإيمان والذكر من الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين، وظهر ذلك من خلال الالتجاء والدعاء لله تعالى الذي هو أحد أنواع الذكر، حيث يلتجئ الذاكر إلى ربه، يقدم بين يديه ما يحتاجه ويرغبه ويحبه، فهذا أيوب عليه السلام قد امتحنه الله عز وجل بامتحانات كثيرة، وأمراض موجعة، وبلايا مؤلمة وحالات صعبة فما وجد للفرج إلا ذاك السبيل، وذاك الباب العظيم، تذكر الله وذكره والالتجاء إليه مع صدق التوجه والإيمان العميق فلا مغير للأحوال إلا هو، عبر الله عز وجل عن

ذلك في قرآنه فقال: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣–٨٤].

– وكذلك في حالة النبي ذي النون يونس عليه السلام ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].

– وكذلك في حالة النبي زكريا عليه السلام :﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[الأنبياء: ٨٩–٩٠].

– وبعد أن ذكر الله حال هؤلاء الأنبياء واستجابته لدعائهم وتحقيق آمالهم وصف السبب في ذلك فقال سبحانه:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾. [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠]

– وكذلك فإن قدوتنا المثلى سيدنا محمد ﷺ وهو إمام الذاكرين والعاشقين لله عز وجل والذي علمنا وأرشدنا وأمرنا أن نكثر من ذكر الله عز وجل في كل حين وزمان ومكان، وكيفية وعمل، وحال، وقد بيّنا كل

ذلك في الأحاديث الكثيرة التي مرت معنا سابقاً.

- نراه يتمثل كل ذلك عملياً في كل سيرته العطرة إن كان في غزواته المتعددة كغزوة بدر وأحد والخندق وغيرها ، وما موقفه والتجاؤه إلى الله بعدما قابله أهل الطائف بالإنكار والسب والشتم والضرب، وبكل سوء، ما كان منه إلا ذكره لله والتجاؤه إليه، قائلاً : «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**». [أخرجه الطبراني عن عبدالله بن جعفر]

- وكذلك فإن النبي ﷺ كان يكثر من الذكر والدعاء في العديد من مواقف الحج والعمرة و المواقف الأخرى التي تواجهه في حياته.

وما أجمل أن يلتجئ المؤمن إلى الله أثناء ذكره لله عز وجل بدعاء النبي ﷺ:

(**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ**

النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ)

(اخرجه أحمد في الرسالة)

هذا وكان النبي ﷺ حريصاً على كل فردٍ من أفراد أمته من أن يصيبها مكروه فكان يعلم أصحابه أدعية يدعون بها صباحاً ومساءً لتحفظهم من شر ما في النهار أو الليل وهي حصن حصين لكل مؤمن في كل زمان ومكان ينبغي أن يداوم عليها المؤمن أثناء ذكره لله وأثناء دعائه له كما علمنا رسول الله ﷺ ومن هذه الأدعية:

١- عن عبد الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ وَكَانَتْ تَخْدِمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهَا فَيَقُولُ:

«قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: (**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**).

فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمْسِيَ وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ». [أخرجه أبو داود]

٢- وعن طلق قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ احْتَرَقَ بَيْتُكَ؟ قَالَ: مَا احْتَرَقَ ثُمَّ جَاءَ آخرُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا احْتَرَقَ ثُمَّ جَاءَ آخرُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا احْتَرَق، ثُمَّ جَاءَ آخرُ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ انْبَعَثَتِ النَّارُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى بَيْتِكَ طَفِئَتْ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ، قَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا نَدْرِي أَيُّ كَلَامِكَ أَعْجَبُ، قَوْلُكَ مَا احْتَرَقَ أَوْ قَوْلُكَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَاكَ؟ قَالَ: ذَاكَ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ لَنْ تُصِيبَهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات]

٣- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ**

عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

[أخرجه أحمد عن عبد الله بن مسعود ﵁]

٤-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ:

«**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**».

[أخرجه البخاري]

٥- عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: هَلْ سَمِعْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دُعَاءً كَانَ يُعَلِّمُنَاهُ، وَذَكَرَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَ يُعَلِّمُهُ أَصْحَابَهُ وَيَقُولُ: " لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَبَلٌ ذَهَبَ دَيْناً لَقَضَاهُ اللَّهُ ﷻ عَنْهُ: **اللَّهُمَّ فَارِجَ الْهَمِّ، كَاشِفَ الْغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، أَنْتَ رَحْمَانِي فَارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ**"

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ فَكَانَ عَلَيَّ بَقِيَّةٌ مِنْ دَيْنٍ وَكُنْتُ لِلدَّيْنِ كَارِهاً فَكُنْتُ أَدْعُو بِذَلِكَ حَتَّى قَضَاهُ اللَّهُ ﷻ عَنِّي. [أخرجه الطبراني في الدعاء وغيره]

وفي هذا الموضوع قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين وهو يتحدث عن منزلة الذكر في آخر البحث: "والأذكار النبوية متضمنة أيضاً لكمال الرعاية، ومصلحة القلب، والتحرز من الغفلات، والاعتصام من الوساوس وفيها تعليم القلب مناجاة الرب، تملقاً تارة، وتضرعاً تارة، وثناء تارة، واستعظاماً تارة، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والقلب".

هذا وتعلم الصحابة الكرام وآل بيته الطيبين الطاهرين والتابعين وتابعي تابعيهم من العلماء والصالحين وأولياء الله وأهله، تعلموا من النبي ﷺ أن يكثروا من ذكر الله في كل أحوالهم وأن يلتجئوا إلى الله في كل ما يواجههم في حياتهم ليعيشوا في سعادة وهناء ورضاً ورضوان.

- وهكذا وعلى مر السنوات فإن أهل الذكر دائماً على وصالٍ مع الله عز وجل في كل ما كان ينتابهم في هذه الحياة وما يواجههم من صعوبات يجدون في باب ذكر الله عز وجل والالتجاء إليه والوقوف على بابه العلاج الكافي، والدواء الشافي، وهم دائماً في حالة انشراح وسرور ورضاً ورضوان واطمئنانٍ وراحة بال من وراء نفحات ذكر الله عز وجل وتجلياته واستجابته لدعائهم، وتحقيقه لأمانيهم وأمنياتهم، ورفع الضيق والهم والحزن عنهم وإسعادهم في الدنيا قبل الآخرة.

- هذا وإن من خلال تجربتي الشخصية العملية في هذه الحياة وما مرّ

معي من حقائق رأيتها بأم عيني من الأشخاص الذين تعرفت عليهم وصاحبوني رأيت الأعاجيب ومن عدد كبير منهم.

- فهذا مطلبه الأولاد حيث حرم منهم لسنوات ولكنه عند التزامه باب الله وذكره والتوجه إليه بصدق قد منّ الله عليه بما يشتهيه وأكثر وعوضه عما أراد وفكّر.

- وهذا مطلبه الغنى بعد فقر شديد فوقف على هذا الباب باب الله الخالق الجبار للخواطر القادر المقتدر وقف على الأعتاب ذليلاً ذاكراً باكياً راجياً فإذا به يصبح بعد مدة وجيزة من كبار الأغنياء يملك المنازل والضياع والسيارات الفاخرة والعيش الهني.

- وهذا مطلبه الصحة والعافية بعد مرض اشتد عليه أو على أحد أفراد أسرته فإذا به يجد مبتغاه في الوقوف الصادق المُلِح المستمر على باب الله الذي لا يغلق أبداً والمحقق للآمال وإذا بالصحة توافيه والعافية تكفيه والحياة السعيدة تقبل عليه وتنسيه كل معاناته السابقة.

- وللمزيد في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتابي (الأمل) لتجدوا حقائق واقعية تكاد لا تصدق.

ماهيّةُ القلب وأهميته

القلب هو أشرف أعضاء البدن، وبه قوام الحياة، وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة، والكرم والصبر، والاحتمال والحب والإرادة والرضا والغضب وسائر صفات الكمال، فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جندٌ من أجناد القلب، فإن العين طليعته ورائدته التي تكشف له المرئيات فإن رأت شيئاً أدته إليه، كما أن اللسان ترجمانه المؤدي للسمع وما فيه.

- والقلب حقيقة الإنسان، ومن عجيب أمر الله تعالى فيه أنه جعل ببقاء قلب الجسد وصحته وانتظام عمله، حياة الجسد ونشاطه، وجعل بطهارة قلب النفس وسلامته حياة الروح وازدهارها، والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان، وهو المخاطب والمطالب والمعاتب، وهو محل العلم والتقوى والإخلاص والذكرى والحب والبغض والوسواس والخطرات، وهو موضع الإيمان والكفر والإنابة والاصرار والطمأنينة والاضطراب، والقلب هو العالم بالله، والمتقرب الى الله وهو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله،

وهو المحجوب عن الله إذا استغرق بغير الله، وهو الذي يسعد بالقرب من الله، ويشقى بالبعد عنه.

- والقلب هو محل نظر الله ولا يفلح الإنسان ولا يفوز إلا إذا زكاه، ويخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

وفي رواية: (**وأعمالكم**). [أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

- ولعل إن فتش المؤمن عن أعجب ما خلق الله، في السماء والأرض، لم يجد أعجب ولا أروع ولا ادق ولا أجمل من قلب الإنسان، تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة، وحباً وحناناً ومعاني لطافاً، وشعوراً رقيقاً، حتى يتجاوز في سموه الملائكة المقربين، وتفسد أوتاره، فينضح قسوة ولؤماً وسوءاً، حتى يهوي إلى أسفل السافلين.

- وقد حوى على دقته كنه العالم، فما أدقه وأجله، وما أصغره وأعظمه، يكبر ولا نرى كبره، فيتضاءل أمامه كل كبير، ويصغر ولا نرى صغره، فيتعاظم عليه كل صغير، اتحد شكل القلب، واختلفت معانيه، فقلبٌ كالجوهر الكريم، صفا لونه، وراق ماؤه، وقلبٌ كالصخر، قويٌ متين ينفع ولا يلمع، وقلبٌ هواء خف وزنه، وحال لونه يموت القلب ثم يحيا، ويرتفع الى الأوج، ويهبط الى الحضيض، وبينما هو يساوي النجوم رفعةً إذ هو يلامس القاع ضعةً، أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بحياة القلب وصدق الشعور، وقوة الإرادة، وأليس أحقر الناس بهذا العالم هم الذين

امتلكـوا قلبـاً قاسـياً لا حيـاة فيـه ولا شـعوراً بالمسـؤولية ولا بالإنسـانية ولا بـالعطف والحنـان والحب بـل ظلماً وفسقاً وفجوراً وحسـداً وحقـداً وكفـراً ونفاقاً.

- قال الإمام الغزالي في كتاب منهج العابدين إلى جنة رب العالمين:

(و أما القلب فحسبك أنه أصل الكل ، إن أفسدته فسد الكل ، و إن أصلحته صلح الكل ، إذ هو الشجرة ، و سائر الأعضاء أغصان ، و من الشجرة تشرب الأغصان و تصلح و تفسد ، و أنه الملك ، و سائر الأعضاء تبع و أركان ، و إذا صلح الملك صلحت الرعية ، و إذا فسد فسدت ، فإذن صلاح العين و اللسان و البطن و غيره دليل على صلاح القلب و عمرانه ، و إذا رأيت فيه خللاً و فساداً ، فاعلم أن ذلك من خلل في القلب ، و فساد وقع ثمَ ، بل الفساد فيه اكثر ، فاصرف عنايتك إليه فأصلحه يصلح الكل بمرة فتستريح .

- العجب كل العجب من مؤمن يعيش حياته كلها وهو لا يُلمُّ بماهيّة القلب وأهميته ولا يسعى لمعرفة ذلك، ولا يهتم بشأن قلبه ولا بالحفاظ عليه سليماً صحيحاً قوياً.

- فالقلب عضوٌ من أعضاء جسم الإنسان بل هو أعظم الأعضاء وأهمها.

- والقلب لطيفة ربانية، لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلُّق، وقد جعل الله بصحته وبقائه

وانتظام دورته حياة الجسد، وبسلامته وطهارته وصلاحه حياة الروح، قال رسول الله ﷺ مبيناً ذلك:

«أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ».

[أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير]

– فالقلب هو مكونٌ مادي ومكونٌ روحي.

– هذا وقد دل العلم الحديث أن خلايا الانسان تتبدل وتتغير كلياً كل خمس سنوات: (الجلد والعظم والأنسجة) إلا الدماغ والقلب.

فالدماغ فيه المعلومات والخبرات والمهارات والذكريات والاختصاص والدراسة وغيرها ولو تبدلت خلاياه لذهبت كل تلك الأمور فمن نعم الله العظمى أن خلايا الدماغ لا تتبدل ولا تتغير.

وكذلك خلايا القلب لا تتغير ولا تتبدل وازداد العلم ثقة بهذا الأمر عندما قام بعمليات زراعة القلب فظهرت ظاهرة تغير الحالة النفسية للمريض بعد تلك العمليات فيتبدل المريض في ما يحب ويكره بل وتتأثر أفكاره حتى في إيمانه وما يرغب فيه، وفي أحاسيسه المتعددة ، وكمثال على ذلك فقد زرع الأطباء لرجل كبير السن قلب شاب يحب الموسيقى والرياضة فإذا بهذا الرجل تتغير مواهبه ويصبح محباً للموسيقى والرياضة .

وأثبت العلم الحديث أن القلب يُخْلَقُ قبل الدماغ في الجنين ويبدأ بالنبض منذ تشكله وحتى موت الإنسان دون الاعتماد على الدماغ، فالقلب

هو المحرك الذي يغذي أكثر من ثلاثمئة مليون مليون خلية في الجسم.

- والقلب هو مركز الإيمان والحب والبغض والطمأنينة والقلق والخوف والحزن وفيه القسوة واللين وغيرها من الأمور التي سنتحدث عنها لاحقاً.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾. [الحجرات: ١٤]

- والقلب محل نظر لله سبحانه و تعالى بين ذلك النبي ﷺ لقوله: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**[أخرجه مسلم عن أبي هريرة].

-والقلب هو جهاز التقاط وإرسال وهو أهم وسيلة تواصل يمتلكها الإنسان، تواصل بين العبد وربه، فهو جهاز التقاط لأنوار الله وتجلياته وأوامره ونواهيه وحبه وخشيته، وتلذذ بذكره ، واستئناس بقربه، والشعور بمعيته.

وهو جهاز إرسال للشكوى والحاجات والطلبات والآمال والأماني وللرجاء عن طريق المناجاة والدعاء من قبل العبد الضعيف الفقير إلى الله ربه القوي الغني القادر المقتدر المقدر لكل شؤون هذا العبد والمغير للأحوال، وقابل للتوبة، ومحقق الآمال والأماني، ومستجيب الدعاء.

- وللقلب أهمية كبرى في عرف الشريعة الإسلامية التي أظهرها القرآن الكريم في العديد من آياته، فقد ذكر القلب في القرآن الكريم عشرين مرة بالإفراد، واثنتي عشرة ومائة مرة بصيغة الجمع، ويعتبر هذا العدد كبير

بالنسبة للمواضيع الأخرى مما يدل على أهمية القلب ومكانته في الإسلام.

- وإذا كان للإنسان عقل في رأسه وهو العقل العلمي الذي يفكر فيه ويستوعب ما يجري من حوله ويستفيد منه في العلم والتعلم فإن في قلبه عقلٌ هو العقل الإرادي الذي به يندفع نحو تطبيق ما يتعلمه من العقل العلمي، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

وأشار القرآن إلى هذين العقلين في قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

- وسمّي القلب قلباً لأنه لبابةُ المخلوقات، وزبدة الموجودات جميعها فسمّي بهذا الاسم لأنه قلب الشيء وخلاصته وزبدته، ولأنه يقلب الأمور فيه عن علم بها، وهو المعول عليه في الصلاح والفساد.

- وسمّي بالقلب لأنه سريع التقلب والتغيير وهو الذي يُقلِب الأمور عن علم بها.

- ويسمى القلب في القرآن أيضاً بالفؤاد ويدل على وسطه فمحل الفؤاد بالقلب كمثل الحدقة في سواد العين.

- والفؤاد هو في القلب وسمّي بذلك لحرارته وتوقّده، وهو في باطن القلب وهو المسؤول يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

– والفؤاد هو المدرك لما خرج منه وهو المفكّر والمسيطر على الجانب المعرفي وهو أحد طرفي القدرة التي سيُسأَلُ عنها يوم القيامة إلى جانب السمع والبصر.

– فالفؤاد هو قوة القلب الإدراكية فهو المفكر والمتفهم والمسيطر على الجانب المعرفي ومحل رؤية الحق.

– والفؤاد له معنى الحب، كما جاء في القرآن الكريم على لسان إبراهيم:

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

– والقلب داخل الصدر كسواد العين الذي هو داخل العين في بياضها فالصدر حاوٍ للقلب والقلب حاوٍ للفؤاد، قال تعالى:

﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

– وسُمّي الصدر صدراً لأن القلب يتصدّر فيه ولأنه منه تصدر الحوائج والوساوس والخواطر نحو القلب وهو مستقرّها والمتدبر لها والمفكر فيها.

والصدر كلمة من الكلمات التي وردت في القرآن الكريم في أربع وأربعين مرة والصدر هو موضع الإسلام، وحفظ العلم المسموع من أحكام وأخبار وهو موضع الانشراح والشفاء والحرج والضيق وفيه صفات الغل والكبر والرهبة والرغبة وهو موضع الشهوات والحاجات والأماني وتَوَضُّعِ

النفس الأمّارة ومكان الشيطان وفيه يصدر الوساوس والخواطر نحو القلب قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ**».

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

- والمؤمن الصادق بذكر الله ينشرح صدره ويتفضل عليه الله بهذا الانشراح، قال تعالى:

﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١** ﴾ [الشرح: ١]، فيبعد عنه وساوس الشيطان ويسعى هذا المؤمن أن يتعوّذ من الشيطان دائماً بقراءة سورة الناس وفيها ﴿ **مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ** ﴾ [الناس: ٤-٦].

- والقلب موضع الإيمان والكفر، كما أشار سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ **كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣** ﴾ [الحجرات: ٣]

وقال ﷺ: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**»، ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَيَقُولُ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا**».[أخرجه ابن أبي شيبة عن أنس بن مالك]

- كذلك فإن القلب هو موضع الإنابة والإصرار، والطمأنينة والاضطراب، وهو محل العلم والتقوى، والنية والإخلاص والذكرى، والحب والبغض، والوسواس والخطرات، فالقلب هو العالم بالله ﷻ، وهو المتقرب

إلى الله ، وهو العامل لله ﷻ، وهو الساعي إلى الله ﷻ، وإنما الجوارح أتباع للقلب وخدم، كما قال أبو هريرة ﷺ: "القلب ملك وله جنود فإذا صلح الملك صلحت جنوده وإذا فسد الملك فسدت جنوده".

وقد جعل بعض العلماء العارفون بالله القلب على سبع طبقات وهي:

أولاً: الصدر:

وهو محل الإسلام والشرح ومحل الوسواس والحفظ والذاكرة، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

ثانياً: القلب:

وهو محل الإيمان والتعقل والسمع والبصيرة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: ٧].

ثالثاً: الشغاف:

وهو محل محبة الخلق، قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[يوسف: ٣٠].

رابعاً: الفؤاد:

وهو محل رؤية الحق، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

[النجم: ١١]

خامساً: السويداء:

وهي محل العلوم الدينية، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.

[الأعراف: ١٧٩]

سادساً: مهجة القلب:

وهي محل الهداية وتجلي الصفات، قال تعالى:

﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ** ﴾[التغابن: ١١].

سابعاً: حبة القلب:

وهو محل محبة الحق، قال تعالى: ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد جعل القرآن القلوب على ثلاثة أحوال:

١- القلب الميت وهو قلب الكافر: (وهو الذي لا حياة فيه، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره، وبما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط) (ابن قيم الجوزية).

فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سايسه، والغفلة مركبه، وهذا قلب الكافر الذي ختم الله على قلبه وأصبح الران في أعماقه، ذكره الله في قرآنه بقوله: ﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[البقرة: ٧].

وقوله ﷻ: ﴿ **كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾[المطففين: ١٤].

وهذا القلب الميت يوصَفُ بالختم والران وكذلك بالطبع قال تعالى:

﴿ **كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾[غافر: ٣٥].

وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٠١].

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[يونس: ٧٤].

٢- القلب المريض وهو قلب المنافق: (وهو القلب الذي له حياة وبه علة، ففيه من محبة الله، والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه، ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها مع امتلائه بالحسد والكبر والعجب، وحب العلو بالأرض وبالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه.

وهو ممتحن من داعيين: داعٍ يدعوه إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ والدار الآخرة، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً) [ابن قيم الجوزية].

ويشير إلى ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

٣- القلب الصحيح وهو قلب المؤمن: وهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾. [الشعراء: ٨٨ – ٨٩]

وهذا القلب اتصف به قلب سيدنا إبراهيم عليه السلام كما قال

تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾.
[الصافات: ٨٣-٨٤]

ويسمى هذا القلب أيضا بالقلب المنيب، قال تعالى:

﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾[ق: ٣٣].

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: "القلب السليم: هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن"[تفسير ابن كثير].

"والقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله، إرادة ومحبة، وتوكُّلاً وإنابة، وإخباتاً وخشية، وخلص عمله لله ﷻ، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله" [ابن قيم الجوزية].

والقلب السليم: هو الذي سلم من جميع العقائد الفاسدة، والأخلاق الرذيلة، والميل إلى المعاصي والشهوات.

والقلب السليم: هو الذي سلم من الكفر والشقاق، ومن الشك والتردد، وسلم من الرياء والفخر والكبر، والحقد والحسد والغش، وجميع أمراض القلب، وسلم من الأهواء والشهوات والمغريات والمعاصي والآثام.

وينبغي أن نعلم أن القلوب مراتب بحسب ما فيها من إيمانٍ ونورٍ ربّاني منزّل وبالتالي فالناس ينقسمون إلى فئات بحسب قلوبهم.

هذا وإن أفضل القلوب هو قلب النبي ﷺ اصطفاه الله عزَّ وجلَّ من بين قلوب العالمين، ليكون محطّ تنزيل الأمانة، ومنبع الرحمة الإنسانية،

ومستودع الأنوار الربانية من بين قلوب العباد.

- وقد روي عن عبد الله بن مسعود قوله: " إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ ".

[أخرجه الإمام أحمد]

- والسؤال هو كيف نصل إلى هذا القلب بهذه المعاني؟

كيف يجعل المسلم قلبه قلباً صحيحاً سليماً صالحاً منيباً؟

الجواب: باتباع الأمور الأساسية التي تساعد على امتلاك هذا القلب ومنها:

أولاً: البحث عن مرب عارف بالله و التتلمذ على يديه:

إن أول وأهم أمر للمؤمن الذي يسعى لامتلاك القلب السليم أن يبحث عن مربٍ عارف بالله وليٍّ من أوليائه ليتتلمذ على يديه ويصاحبه ويستفيد منه.

- هذا المربي الذي لديه الخبرة في التربية وقوة التأثير في النفوس من وراء ما يلهمه الله من معان يستفيد منها المريدون في معالجة ما يعانونه من مسائل كثيرة تواجههم في هذه الحياة، وتوجيههم التوجيه الصحيح ليبلغوا امتلاك القلب السليم من وراء ما يرشدهم إليه في دروسه النابعة والمتابعة لما

في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتراجم الصحابة والتابعين، والعلماء العاملين، وأهل الله وأوليائه الصالحين، ما ينطبق عليه قول النبي ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». [أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– كما يرى عليه القيام بمهمة هذا المجدد التي بينها النبي ﷺ بقوله:

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدُولُه ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين». [أخرجه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه]

– هذا وينبغي لهذا المؤمن أن يميز بين العالم وبين المربي، العالم هو من يجيد العلم الذي يختص به كعالم في العقيدة أو الفقه والشريعة، أو التجويد والتفسير، أو الحديث والسيرة، أو العلوم العربية وغير ذلك من العلوم المتعددة.

– فمن أراد أن يتعلم أي علم من هذه العلوم ينبغي له أن يبحث عن العالم المختص بهذا العلم فيتتلمذ على يديه ليأخذ هذا العلم الذي يريده ويستفيد منه.

– أما المربي فهو عالم بهذه العلوم إلا أن الله اختصه بالتربية والتزكية فهو يملك هبة من الله عز وجل فيوصل هذه العلوم إلى تلامذته مع التأثير النفسي فيهم عن طريق التربية والتزكية للنفس والروح والعقل والقلب مما يجعلهم يصلون إلى المغزى الحقيقي من هذه العلوم، ويبث فيهم الالتزام والاستقامة عليه.

- فالمربي هو الذي يمتلك من وراء عطاء الله له وفضله عليه، ومما وهبه الله من العلم والقدرة على التأثير على تلامذته بأن يوصلهم إلى امتلاك هذا القلب السليم الصحيح الذي يمتلئ بالإيمان اليقيني والطمأنينة والاستقامة، وذلك من خلال التوجيه والوعظ والتربية والتزكية في دروسه المتعددة مع التأكيد والمواظبة والاستمرار على الإكثار من ذكر الله عز وجل.

- وبقدر ملازمة المريد لشيخه ومصاحبته له في حله وترحاله بمقدار ما يستفيد هذا المريد في سرعة التوصل إلى هذا القلب السليم.

- ولتوضيح هذا المعنى والتأكيد عليه يمكن أن نقول إن الصحابة الكرام لولا المربي العظيم سيدنا محمد ﷺ لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الإيمان اليقيني وما امتلكوا هذا القلب السليم الذي من ورائه ملكوا الشرق والغرب بدعوتهم الربانية وقد أكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ **رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ** ﴾[آل عمران: ١٩٣]، وقوله تعالى:

﴿ **لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ** ﴾[آل عمران: ١٦٤].

- وفي هذا الموضوع يقول الشيخ أبو حامد الغزالي موضحاً ذلك: (يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه سواء السبيل، فإن

سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سَلك سُلك البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها، فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المريد شيخه فليتمسك به). [الغزالي: إحياء علوم الدين جـ٣ ص٦٥]

– وقال أيضاً مؤكداً على اتباع المرشد: (فمما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشد ومربٍ ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة، ومعنى التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع، فكلما رأى حجراً أو نباتاً مضراً بالزرع قلعه وطرحه خارجاً، ويسقي الزرع مراراً إلى أن ينمو ويتربى، ليكون أحسن من غيره، وإذا علمت أن الزرع محتاج للمربي علمت أنه لابد للسالك من مرشد ألبتة لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا أدلاء لهم ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم، وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله، وهكذا إلى يوم القيامة، فالسالك لا يستغني عن المرشد ألبتة)

[أبو حامد الغزالي: خلاصة التصانيف في التصوف ص١٨]

– وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري: (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالكاً للطريق، تاركاً لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه، فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينتهِ عما نهى عنه وزجر). [مفتاح الفلاح في ذكر الكريم الفتاح ص٣٠]

- وقد تحدث الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره عن هؤلاء المربين فقال:

(الشيوخ نواب الحق في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام بزمانهم، بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء عليهم السلام غير أنهم لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم وليس لهم التشريع، ولهم حفظ القلوب، ومراعاة الآداب في الخصوص، وهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب.

والشيوخ هم العارفون بالكتاب والسنة، قائلون بها في ظواهرهم، متحققون بها في سرائرهم، راعون حدود الله تعالى، ويوفون بعهد الله ﷻ، قائمون بمراسم الشريعة لا يتأولون في الورع، آخذون بالاحتياط، مجانبون لأهل التخليط، مشفقون على الأمة، لا يمقتون أحداً من العصاة، يحبون ما أحب الله، ويبغضون ما أبغض الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر المجمع عليه، يسارعون في الخيرات، ويعفون عن الناس، ويوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، يميطون الأذى عن الطريق، طريق الله وطريق الناس، يؤدون حقوق الناس يبرون عباد الله، هينون لينون، رحماء بين خلق الله).

[أبو سعيد التونسي: حقيقة الصوفية ص٢٩]

- هذا وإن لهذا المربي شروطاً لا بد أن تتواجد فيه اذكر اهمها :

١- أن يكون عالماً ملماً حافظاً للعلوم الشرعية كلها مع ما يتعلق بها من العلوم الأخرى.

٢- أن يكون عارفاً بالله ومن أوليائه الذاكرين.

٣- أن يكون ملتزماً مستقيماً مطبقاً لأوامر الإسلام كلها، منتهياً عن نواهيه ومحرماته، مبتعداً عن منكراته، متصفاً وملتزماً بأخلاق الإسلام وآدابه وسلوكه كلها على أعلى مستوى، لا يرى عليه أي معصية أو منكر أو بدعة أو ضلالة.

٤- أن يكون معتدلاً متوسطاً متوازياً في تصرفاته وآرائه وأفكاره وتربيته وسلوكه جميعها بعيداً عن التزمت أو التشدد أو الرهبانية أو الإفراط أو التفريط أو التفلت أو اللامبالاة، يداري ولا يداهن.

٥- أن يكون مطلعاً على تطور الحياة وعلومها ووسائلها، مواكباً لها ومستفيداً منها في دعوته وتربيته .

٦- أن يكون مطلعاً على علم النفس الإسلامي وطرق التعامل مع الآخرين والمتناسبة مع فروقهم الفردية، والطرق الناجحة في دعوتهم وتربيتهم وتوجيههم والرفع من شأنهم بشكل متوازن يتفق مع واقع الحياة التي يعيشونها.

٧- أن يكون على صلة مرتبطة مع أشياخه المتصلين بشجرة مسلسلة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، مأذوناً بالإرشاد والتوجيه والتربية والتزكية والذكر من شيخه المرتبط بأشياخه السابقين.

ثانياً: السعي الحثيث إلى تعميق الإيمان بالله في القلب، والوصول به إلى حد اليقين بشتى الوسائل حتى لا يكون إيماننا ادّعاءً، كالأعراب الذين قال عنهم سبحانه:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[الحجرات: ١٤].

يقول أبو الدرداء ﷺ: "إن من فقه العبد أن يتعهد إيمانه وما نقص منه".

ويقول عمير بن حبيب ﷺ: "إن الإيمان يزيد وينقص"، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: "إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادة، وإذا غفلنا ونسينا وضعُفنا فذلك نقصان"[الإيمان لابن أبي شيبة].

وكان من دعاء ابن مسعود ﷺ: "اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً".

[أخرجه أحمد في الإيمان]

– مما سبق ينبغي للمؤمن أن يتعهد إيمانه ويجدده بين الفترة والأخرى لما يواجه هذا المؤمن في هذا الزمان في حياته من بلاء وامتحانات وغفلات وهموم وأشغال، ويتمسك بوصية النبي ﷺ حيث يقول:

«جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[أخرجه أحمد عن أبي هريرة].

– كما ينبغي للمؤمن السعي إلى تحقيق الإيمان اليقيني في نفسه ليحصل على هداية الله له كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١ ﴾[التغابن: ١١].

- ومن هداية الله لهذا القلب أن يحبب إليه الإيمان، ويزينه فيه، ويكره إليه الكفر والفسوق والعصيان كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾. [الحجرات: ٧]

ثالثاً: المحافظة على هداية الله لهذا القلب، وتمكن الإيمان فيه، ووصوله إلى معرفته معرفة حقيقية، وثباته على ذلك، حتى يصل إلى انشراح صدره الذي يستوطن القلب فيه، كما قال تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

عن أبي جعفر قال: "لما نزلت هذه الآية قال الصحابة : كيف يشرح الصدر يا رسول الله؟ قال: إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح . قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الفوت" [تفسير الطبري].

- فإذا وصل المسلم إلى هداية الله له، وشرح صدره، قذف في قلبه نوراً، يصبح القلب بهذا النور ذاكراً لله ليناً سليماً، صحيحاً صالحاً منيباً، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ

﴿قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٢﴾[الزمر: ٢٢].

- وبذلك يصل ذلك المسلم إلى ما وصل إليه الصحابي الجليل حارث من الإيمان الحق: فعَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ:

«كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟» قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلاثًا. [أخرجه الطبراني]

- كذلك فإن الله ﷻ يجعل لهذا العبد واعظاً من قلبه يأمره وينهاه كما ورد عن ابن سيرين في حلية الأولياء قوله: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ**».

رابعاً: الاستجابة لما يدعو إليه الله ورسوله، والتزام أوامر الله، والبعد عن نواهيه، والتقيد بأحكامه، والبعد عن معاصيه، وكل ذلك يؤدي إلى حياة قلب المسلم، واستمراريته على سلامته وصحته وصلاحه وإنابته، وكل ذلك أيضاً يساعد ألا يحول الله ﷻ بين المسلم وبين قلبه بتقلب أحوال القلب أو مرضه أو موته، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾.

[الأنفال: ٢٤]

- هذا وقد تحدث النبي ﷺ عن تقلب هذا القلب، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:

«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ «نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[أخرجه الترمذي].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَثِيرًا مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ:

«لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»[أخرجه البخاري].

- كذلك فإن النبي ﷺ كثيراً ما كان ينبه إلى حقيقة القلب ومن ذلك قوله ﷺ: **«قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها»**.

[أخرجه أحمد والحاكم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه]

وقوله ﷺ: **«مثل القلب مثل العصفور فيقلب كل ساعة»** [أخرجه الحاكم والبيهقي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه].

- وقال ﷺ: **« إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْراً لِبَطْنٍ»**.

[أخرجه أحمد عن أبي موسى رضي الله عنه]

- قال السري السقطي رحمه الله : "القلوب ثلاثة : قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها ، وقلب كالريشة

يميل مع الريح يميناً وشمالاً"[أبو نعيم في الحلية].

- مما سبق وبالنظر إلى سرعة تغير القلب بهذا الشكل علينا الاستجابة لما يدعونا إليه الله ورسوله ففيه حياتنا، لنكون في حصن من ذلك التغير والتبدل السريع، ولنكون دائماً على حذر وانتباه، ولنكثر من قولنا:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[آل عمران:٨].

خامساً: المحافظة على تلاوة القرآن الكريم، والتزام أحكامه والعمل بأوامره والابتعاد عن نواهيه.

والانتفاع بالقرآن وما فيه إنما يحصل لمن كان حيَّ القلب، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧].

- كما أن الانتفاع بمواعظه شفاء لما في الصدور، فالقلب في الصدر كما نعلم، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٥٧].

- أما الذي لا يقرأ القرآن ولا يتدبره ولا يعمل به، فإن قلبه مقفل مغلق، كما بين ذلك سبحانه في قوله:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: ٢٤].

- مما سبق فإن المؤمن الحريص على امتلاك القلب السليم الصحيح يكثر من قراءة القرآن الكريم بتمعن و تمحصٍ بآياته و التأكيد على المغزى منها، و ذلك بالرجوع إلى تفسير معتمد يستنبط منه الأحكام والفوائد والمقاصد المتعددة من أجل أن يعمل بها و يتصف، و يصل إلى مبتغاها ومقاصدها.

سادساً: المحافظة على ذكر الله الذكر الكثير، كما أمر سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١].

- لأن ذكر الله هو الوسيلة التي تجعل القلب مطمئناً قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد:٢٨].

- ولأن الذكر سبب خشوع القلب، قال تعالى:

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾. [الحديد: ١٦]

- ومن لا يذكر الله ﷻ، فإنه يصاب بقساوة في قلبه، تنتهي به إلى الخسران والضلال والضياع كما وضح ذلك سبحانه في قوله:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الزمر: ٢٢].

- فلابد للقلب من ذكر الله والمداومة عليه لأن الذكر يصقل القلب وينوره، ويمسح عنه الغفلة، والران والحجب الكثيفة التي تغشاه قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله**».

[أخرجه البيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمر]

- أخرج ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: "لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله". وقال: "عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء".

وأخرج ابن المبارك في الزهد عن عثمان رضي الله عنه قال: "لو أن قلوبنا طهرت لم تمل من ذكر الله".

- وأخرج أحمد عن حبيب بن عبيد أن رجلاً أتى أبا الدرداء رضي الله عنه فقال له: أوصني، فقال له: "اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير".

- وبما أن للذكر أنواعاً متعددة فعلينا أن نوليَ الذكرَ الخفي الذي يقوم به القلب عناية خاصة، فهو خيرها، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله:

«**خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ**» [أخرجه أحمد عن سعد بن مالك].

- قال سيدنا علي كرم الله وجهه: "ابحث عن قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن الكريم، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن فاسأل الله عز وجل أن يمنّ عليك بقلب فإنه لا قلب لك".

سابعاً: صحبة المؤمنين الصادقين ومجالستهم، والبعد عن

الغافلين، فإن في ذلك حياة القلب وسلامته، وقد أمر الله تعالى بهذه الصحبة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾. [التوبة: ١١٩]

– وأمر الله ﷻ نبيه أن يحبس نفسه على صحبة المؤمنين الصادقين، ونهاه عن طاعة من أغفل الله قلبه عن ذكره، فقال سبحانه:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾. [الكهف:٢٨]

–أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

مجالس الذكر محاية للعلم، وتحدث للقلوب خشوعاً .

–وأخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً قوله : أكثروا ذكر الله عز وجل، ولا عليك ألا تصحب أحداً إلا من أعانك على ذكر الله

– وملازمة المؤمنين الصادقين وصحبتهم، تدعو إلى محبتهم وتمني الخير لهم، والدعاء لهم، وعدم حسدهم أو بغضهم أو معاداتهم بين الله ﷻ كل ذلك في قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

- وقد بين النبي ﷺ مكانة الصحبة الصادقة في الله ﷻ وهي مكانة يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء يوم القيامة، فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ. قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَ اللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ». وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ .

[سورة يونس:٦٢][أخرجه أبو داود في سننه]

ثامناً: البعد عن المعاصي والآثام والذنوب، والمغريات والشهوات والأهواء والمفسدات، فإنها تضعف الإيمان في القلب، وتكثر الحجب عليه، وتسوده، وتطفئ نوره، فيُختم ويُطبع، حتى يصل إلى الران الذي يميته والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

- قال ابن عباس: "إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق" [ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين جزء١، ص٤٢٤].

- قال الإمام مالك لما رأى من الشافعي النبوغ والإيمان، قال له:

"إني أرى الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة

المعصية" [ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي ص٥٢].

- وهناك آية تلخص كل ما جاء في هذه الفقرة من معانٍ في قوله ﷻ: ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[الجاثية:٢٣].

- وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ شارحاً هذا الموضوع: « **إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقل منها ، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله ﷻ:** ﴿ **كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾». [أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه]

- قال الإمام ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

ـ ومن المفيد هنا تذكر دعاء النبي ﷺ «**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ**»[أخرجه البخاري عن أبي هريرة].

ـ سئل العلماء عن معنى هذا الحديث كيف تطهر الخطايا بذلك؟ فقالوا: الحديث فيه كناية واضحة تظهر أن الخطايا تجلب للقلب حرارة ونجاسة وضعفاً، وتضرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له

بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا، اشتدت نار القلب وازدادت، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار، فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وأشد صلابة، فكان أذهب لأثر الخطايا.

- ثم قال العلماء: هناك أمران حسيان وأمران معنويان: فالنجاسة التي تزول بالماء ومزيلها: حسيان.

وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها: معنويان.

وصلاح القلب، وحياته، ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا، فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسماً نبه به على القسم الآخر، فتضمن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار وحسن البيان كما في حديث النبي ﷺ في دعائه بعد الوضوء: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ**».

[أخرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب]

فإن هذا الحديث تضمن ذكر الأقسام الأربعة.

تاسعاً: الحذر الشديد من الوقوع في أمراض تتعلق بالقلب ومنها:

١- عمى القلوب الذي ذكره الله تعالى بقوله:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[الحج: ٤٦]

فالعمى الحقيقي ليس عمى الأبصار، لأن عمى الأبصار في الدنيا امتحاناً من الله عز وجل فمن صبر على هذا الامتحان أكرمه الله بكرامات

كثيرة وثواب عظيم في الدنيا والآخرة ولكن العمى الحقيقي هو عمى القلوب فهم يرون في أبصارهم ولكن قلوبهم عمياء عن الله ، عن الحقيقة، عن الدين، عن الإيمان، وكم من مؤمن أعمى في بصره كان منوراً في قلبه وبصيرته.

- فاعمى القلب هو الإنسان الذي عمي عن الحق وابتعد عن الدين وعاش في حياته ساهياً لاهياً منغمساً في الشهوات والهوى والملذات المحرمة، لا يقيم صلاة ولا التزاماً بدين الله وشرعه كما جاء في الأثر: ليس الأعمى من يعمى بصره إنما الأعمى من عميت بصيرته أي: قلبه).

قال ابن عبّاس:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما

قال خالد بن معدان: ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يُبصر بهما أمر الآخرة فإن أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعد الله تعالى بالغيب وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما فيه.

- جاء في تفسير القرطبي ٤٦٠٨/٦ (عمى الأبصار شيء هين ، إذا ما قيس بعمى القلوب ، لأن الإنسان إذا فقد رؤية البصر يمكنه أن يسمع ، و أن يُعمل عقله و أي يهتدي ، و ما لا يراه بعينه يمكن أن يخبره به غيره ، و يصف له وصفاً دقيقاً و كأنه يراه ، لكن ما العمل إذا عميت القلوب و الأنظار مبصرةً .

- قال قتادة: البصر النافع في القلب .
- و قال مجاهد لكل إنسان أربعة أعين عينان في رأسه لدنياه ، و عينان في قلبه لآخرته ، فإن عميت عينا رأسه و ابصرت عيناه قلبه فلم يضره عماه شيئاً ، و إن ابصرت عينا رأسه و عميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئاً)

٢- غفلة القلوب: يقع المؤمن في مرض الغفلة في قلبه من وراء الانغماس في الشهوات والملذات والمحرمات ومصاحبة المنافقين والفاسقين والفجار وغيرهم ، لذلك يأمرنا الله عز وجل بالبعد عن أصحاب الغفلة، وعدم إطاعتهم أو مصاحبتهم حتى لا نتأثر بهم ويسري مرضهم إلينا فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾. [الكهف: ٢٨]

٣- موت القلب : وموت القلب هو ذهاب القوة العاقلة في القلب فلا تنفع فيه تذكرة، ولا تحركه موعظة، ولا يستجيب لناصح، ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه ويعميه.

- ويموت القلب بالمعاصي لأنها سموم للقلب وفيها هلاكه وضررها للقلب كضرر السموم للأبدان، قال الإمام ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وقال ابن عباس : "إن للحسنة نوراً في الوجه، وضياءً في القلب،

وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للمعصية سواداً في الوجه، وظلاماً في القلب، وضيقاً في الرزق، وبُغضة في قلوب الخلق".

وقد بين النبي ﷺ سبباً من أسباب موت القلب فقال: «وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

- كما بين النبي ﷺ: أن الفتن تميت القلب فقال: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتَنًا كَقِطَعِ الدُّخَانِ ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**». [أخرجه أحمد عن الضحاك بن قيس]

- لذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ لَا يُدْرِكْنِي زَمَانٌ، أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتْبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ، وَلَا يُسْتَحَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ**» [أخرجه أحمد عن سهل بن سعد]

٤- قسوة القلب:

- القلب القاسي هو ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه وصاحب القلب القاسي لا يقبل موعظة ولا نصحاً وهو مرض خطير يصيب القلب من وراء المعاصي ومجالسة أهلها فينكر المعروف ويأتي المنكرات ولا يقيم لتعاليم الدين وزناً ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا المرض من خلال الحديث عن الذين أوتوا الكتاب من قبل فبدّلوه ونبذوه وراء ظهورهم فكان ذلك سبباً لقسوة قلوبهم، حتى أصبحت صلبة تشبه في الصلابة الحجارة بل

هي أشد قسوة منها فأصبحت كالجمادات بل تدنت عن درجة الجمادات أيضاً بين ذلك سبحانه وتعالى بقوله متحدّثاً عنهم فقال:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾. [البقرة: ٧٤]

ثم بين الله عز وجل تأثير الشيطان في قلوب المنافقين مرضى القلوب ومن كانت قلوبهم قاسية فهم يستمعون إليه ويصدقونه ويسعون إلى نشر ما يدعو إليه، وقد أشار الله إلى هذه المعاني بقوله سبحانه: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الحج: ٥٣].

لذلك ينبغي للمسلم أن ينتبه لما يلقي الشيطان من الفتن المتعددة ولا يستمع إليه ولا يصدقه ولا ينشره.

- كما بين سبحانه وتعالى أن العذاب الشديد في الدنيا والآخرة لأولئك أصحاب الضلال الذين لا تلين قلوبهم عند ذكر الله ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم، أولئك قساة القلوب هم في ضلال واضح عن الحق، وغواية ظاهرة لكل الناس فينبغي للمسلم أن يسعى ألا يكون منهم ولا معهم قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾. [الزمر: ٢٢]

ثم عاتب الله المؤمنين الصادقين بألا ينشغلوا بالدنيا وينسون ربهم من

خلال دعوته للمحافظة على الذكر الدائم لله عز وجل حتى لا تقسو قلوبهم فيقعون في المعاصي والغفلات وألا يكونوا مثل غيرهم من الأمم الذين طال عليهم الأمد ولم يرجعوا سريعاً للحق والذكر فأصبحت قلوبهم قاسية بعيدة عن الخشوع فقال تعالى واصفاً هذه الحالة:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد: ١٦].

وفي هذا الموضوع يقول ﷺ: «**لَا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلْبُ القَاسِي**». [أخرجه الترمذي عن ابن عمر]

وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : «**اطْلُبُوا الْفَضْلَ إِلَى الرُّحَمَاءِ مِنْ أُمَّتِي، تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ، وَلَا تَطْلُبُوهَا مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ سَخَطِي**» [أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه].

وقال مالك بن دينار: "ما ضُربَ عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله ، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم"، فما أحرى بالمؤمن عندما يشعر بقسوة في قلبه أن يرجع إلى ذكر الله عز وجل ، ويرجوه أن يزيل هذه القسوة عنه كما يفعل الإمام الشافعي حيث يقول:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي   جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي: كان عفوك أعظما

- قال أهل الذكر في موضوع قسوة القلب:

ودواء قلبك خمس عند فَدُمْ عليها تفُز بالخير والظفر
إخلاء بطن وقرآنه تدبره كذا تضرع باكٍ ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه وأن تجالس أهل الخير

٥- سموم القلوب: وهي خمسةٌ وهي أكثر انتشاراً من الأمراض السابقة وأشدها تأثيراً في حياة القلب وهي فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول المخالطة، وفضول الطعام، وفضول النوم. ومعنى الفضول في كل مما سبق هو الزيادة عن الاعتدال والتوسط فيما أمر الله ورسوله.

آ- **فضول الكلام:** وهو الزيادة في الكلام فيما لا خير فيه أو فيه معصية، ولا ينجو المؤمن من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

- ولذلك بين لنا النبي ﷺ خطر اللسان من خلال نصيحته لسيدنا معاذ رضي الله عنه:

«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ» ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»

[أخرجه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم بكل أنواعه من غيبة أو نميمة أو حسد أو كذب أو رياء أو نفاق أو فحش أو خوض في باطل أو خصومة أو إيذاء للآخرين أو هتك للعورات ، وكل ذلك مسجل في صحيفة الإنسان والله رقيب عليه وسيحاسبه في الدنيا والآخرة قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٦-١٨].

- وقال الحسن البصري: كانوا يقولون: "إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه".

- هذا وإن من فضول الكلام كلام الإنسان فيما لا يعنيه كما بينه النبي ﷺ بقوله : «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**».

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

ب- فضول النظر: وفضول النظر هو إطلاقه بالنظر إلى الشيء بملء العين، والنظر إلى ما لا يحل له، وهو على العكس من غض البصر الذي أمر الله به المؤمنين فقال:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

– وفضول النظر معصية ومخالفة لأمر الله وهو يفرق القلب ويشتته ويضعفه ويدخل فيه ظلمة تمرضه ، وهو يقسي القلب ويسد عليه باب العلم ويسمح بدخول الشيطان إلى قلبه ويوقع العبد في غفلة فيتبع الهوى، وأما من تركه فيجد في ذلك حلاوة في قلبه كما بين ذلك النبي ﷺ ووضحه في الحديث القدسي: «**إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ** ».

[أخرجه الطبراني عن بن مسعود]

وقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلَّا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا**».

[أخرجه أحمد عن أبي أمامة]

– كما أن فضول النظر يورث الحسرات والزفرات والحرقات، ويجرح القلب جرحاً لا يندمل، ويذهب نور البصيرة، ويوقع القلب في ذل اتباع الهوى والشهوة ومهانة النفس وحقارتها، وفي أسر الشهوة وتعاستها.

– وفضول النظر يفعل في القلب ما لا يفعله السهم في الرمية ، فإن لم تقتله جرحته كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغِيْد موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ج- **فضول المخالطة**: وهو مخالطة البعيدين عن الدين والإيمان

والأخلاق، وهو عدم انتقاء من نخالطهم ونصادقهم ونصاحبهم بما يتناسب مع الشرع، وفضول المخالطة داء عضال، الجالب لكل شر، والسالب للنعم، والزارع للعداوة والبغضاء، وفيه خسارة الدنيا والآخرة، يوضح ذلك قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

- وتحدث سبحانه عن نتائج الصحبة يوم القيامة فقال:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[الزخرف: ٦٧]

- كما لفت النبي ﷺ الأنظار إلى أثر الصاحب على صاحبه منبهاً إلى أهمية البحث عن الصاحب التقي فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**».

[أخرجه أبو داود والترمذي]

- وقد حذر النبي ﷺ من قرناء السوء فقال: «**إياك وقرين السوء فإنك به تعرف**». [أخرجه ابن عساكر عن أنس بن مالك]

- قال الإمام علي رضي الله عنه يحث على مصاحبة التقي والابتعاد عن الدنيء:

وصـاحـب تقيـاً عالمـاً تنتفـع بـــه		فصحبة أهل الخير ترجى وتطلبُ
وإيـاك والفســـاق لا تصحبنهــم		فصـــحبتهم تعــدي وذاك مجـــربُ

- وقال أيضاً كرم الله وجهه:

واحـــذر مُؤَاخـــاة الدنـــيء فإنـــه		يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ
واخــتر صـديقك واصـطفيه تفـاخرا		إن القريـــن إلى المقـــارن ينســـب

- وقال أيضاً كرم الله وجهه منبهاً من ضرر مصاحبة الجهال:

فـــلا تصـــحب أخـــا الجهــــلِ		وإيـــــــــاك وإيـــــــــاهُ
فكــــم مـــن جاهـــــل أردى		حليمـــــاً حــــين آخـــــاه
يقـــاس المـــرء بالمــــرءِ		إذا مـــا المـــرء ماشـــاهُ
وللشـــيء مـــن الشـــيء		مقـــاييس وأشبـــــاه
وللقلـــب علـــى القلـــب		دليـــلٌ حيـــن يلقـــاه

- وقال عدي بن زيد متحدثاً عن طريقة انتقاء الأصحاب:

كل الحوادث مبداهـا من النظـر		ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها		فعـل السهـام بـلا قـوس ولا وتـر
إذا كنـت في قـوم فصـاحب خيـارهم		ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه		فكـــل قريــن بالمقــارن يقتــدي
فإن كـان ذا شـر فجانبــه سرعـة		وإن كان ذا خـير فقـاربه تقتـدي

-كمـا ميـز النبي ﷺ بـين الجليس الصـالح والجليس السـوء وأثـر كـل منهما فقال ﷺ:

«إِنَّمَـا مَثَـلُ الْجَلِيسِ الصَّـالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ

وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً». [أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه]

د- فضول الطعام: وهو الجشع والإكثار من الطعام وزيادته بغير حاجة إليه ولا اعتدال أو توسط، نبه لذلك النبي ﷺ بقوله:

«**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

[أخرجه الترمذي عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ]

وقال ﷺ: «**المؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**». [أخرجه البخاري عن ابن عمر]

- قال إبراهيم بن أدهم: "من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان".

- ومن أكبر فوائد الجوع كسر شهوات المعاصي كلها، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والهوى.

- ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: "يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة".

هـ- فضول النوم: فضول النوم وكثرته يميت القلب ويثقل البدن ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، وفي كثرة النوم ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطبع، وقساوة القلب.

- لذلك ينبغي للمؤمن أن يعتدل في وقت نومه بما يتناسب مع سنه وحاجته، والأفضل أن ينام باكراً بعد صلاة العشاء ولا يتأخر في نومه ليستيقظ قبل الفجر للتهجد وخاصة في فصل الشتاء.

عاشراً: الانتباه الشديد لما ذكره النبي ﷺ فيما يتعلق بالأنواع الأربعة للقلوب والسعي إلى الوصول إلى القلب السليم والبعد عن القلوب المريضة بأنواعها كلها فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ: فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ**» [أخرجه أحمد].

قوله قلب أجرد: أي متجرد مما سوى الله عز وجل.

وقوله في سراج يزهر: وهو مصباح الإيمان فأشار بتجرده إلى سلامته من شهوات الباطل وشهوات الغي وبحصول السراج إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وقوله قلب أغلف: أي داخل في غلافه وغشائه فلا يصل إليه نور العلم والإيمان كما قال تعالى حاكياً عن اليهود:

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.
[البقرة: ٨٨]

- وقوله قلب منكوس: أي مكبوب مركوس كما قال تعالى:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾.[النساء: ٨٨]

أي نكسهم وردّهم في الباطل الذي كانوا فيه بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا أشر القلوب وأخبثها.

- وقوله القلب المصفح: وهو القلب المريض الذي لم يتمكن فيه الإيمان ولم يُزهر فيه سراجه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان وتارة يكون الإيمان أقرب منه للكفر.

حادي عشر: الانتباه لمحتوى القلب والسعي نحو الخير والحق والشكر والحمد لله وقد تحدّث النبي ﷺ عما يكون في محتوى القلب فقال ﷺ: «**لِلشَّيْطَانِ لِمَّةٌ، وَلِلْمَلَكِ لِمَّةٌ يَا ابْنَ آدَمَ، فَأَمَّا لِمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَاذٌ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لِمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَاذٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بالحق، فَمَنْ رَأَى مِنْكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ " وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ**

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] .

[أخرجه البيهقي في شعبه عن عبد الله بن مسعود]

- قال الحسن مشيراً لما يجب على المؤمن فعله: "إنما هما همّان يجولان في القلب: همٌّ من الله تعالى وهمٌّ من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همّه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده".

ثاني عشر: البعد عن الفتن وذلك بالحذر الشديد من أن يقع المؤمن في الفتن التي تعترض القلب والسعي لعدم تشربها أو الانغماس فيها أو المساهمة فيها مع الحرص الشديد عن البعد عن هذه الفتن ومتعلقاتها وقد تحدّث النبي ﷺ عن هذه الفتن التي تعترض القلب وما يجب على المؤمن فعله فقال ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ [ص:١٢٩]، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**». [أخرجه مسلم عن حذيفة]

مرباداً: أي بين السواد والغبرة، مُجَخِّياً: أي مائلاً.

وأخيراً: تعالوا نتعوذ بما أمر به النبي ﷺ الصحابة الكرام:

«**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. [أخرجه مسلم عن زيد بن ثابت]

ثالث عشر : السعي إلى صحة القلب (انظر البحر الرائق لأحمد فريد):

- ينبغي للمؤمن بعد أن تعرف على أحوال القلب وما يتعلق به أن يسعى للحصول على القلب السليم الصحيح المعافى قلب المؤمن الصادق الذي قال عنه سبحانه:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

– **وأول علامة لصحة القلب ومحبة الرب عز وجل:** هي كثرة ذكر الله عز وجل فيظهر ذلك في سلوكه وأخلاقه فإذا امتلأ القلب بحب الرب جلّ وعلا تحرك اللسان بالذكر ولا بد، وإذا امتلأ بغير ذلك من الكفر والفسوق والعصيان تحرك اللسان بالغيبة والنميمة والفحش والبذاء.

قال بعضهم: " المحب لا يجد للدنيا لذة كلذة الذكر، فلا يغفل عن ذكر الله طرفة عين".

– **ومن علامات صحة القلب:** أنه ينيب المؤمن إلى الله ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه والقرب منه والأنس به، فيه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، ومنه يخاف، فذكره قوته وغذاؤه، ومحبته والشوق إليه حياته ولذته ونعيمه وسروره.

والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه.

فإذا حصل له القرب من ربه والأنس به والتلذذ بذكره، سكن إليه، واطمئن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق عنه، وانسدت تلك الفاقة، فإن في القلب فاقة لا يسدها إلا الله تعالى أبداً.

– **ومن علامات صحة القلب:** أن يندفع المؤمن نحو العبادة من الفرائض والنوافل ولو أتعب جسده في طاعة الله وألا يمل قلبه ذلك فقد كان

النبي ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه، فيقال له في ذلك فيقول:

«**أفلا أكون عبداً شكوراً**». [أخرجه البخاري]

قال يحيى بن معاذ: "من سُرَّ بخدمة الله سُرَّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عين كل أحد بالنظر إليه".

وينبغي للمسلم أن يعلم أن من صلاح القلب أن يمتلئ بحب الرب عز وجل ومن أحب الله عز وجل أحب خدمته، وصار قوت قلبه وغذاء نفسه كما قيل:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خُدّام

- **ومن علامات صحة القلب**: أنه إذا دخل المؤمن في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، ووجد فيها راحته ونعيمه، واشتد عليه خروجه منها كما قال ﷺ:

«**وجعلت قرة عيني في الصلاة**». [أخرجه النسائي]

- **ومن علامات صحة القلب**: أن يكون المؤمن أشح بوقته أن يذهب في غير طاعة فإن رأس مال العبد أنفاسه وكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة ثمينة تستطيع أن تشتري بها كنزاً لا يفنى أبد الآباد فتضيعه، وخسارته شراء صاحبه به ما يجلب هلاكه، ولا يسمح بذلك إلا أقل الناس عقلاً وأكثرهم حمقاً.

- **ومن علامات صحة القلب**: أن يكون اهتمام المؤمن بتصحيح العمل أكثر من اهتمامه بالعمل ذاته، فإن العبرة ليست في كثرة العمل

ولكن العبرة في حسن العمل وحفظه مما يحبطه، فيحرص على الإخلاص والمتابعة في كل عمل، ويشاهد منَّة الله عليه فيه، وتقصيره في حق ربه عز وجل عليه، ثم لا يمنّ بالعمل على ربه أو على الناس، أو يصيبه بذلك العمل عجب أو كبر أو غير ذلك مما يجعل الأعمال التي تبدو للناس حسنات أقرب إلى السيئات.

- **ومن علامات صحة القلب**: أن المؤمن إذا فاته ورده أو طاعة من الطاعات وجد لذلك حسرة أكثر مما يجد الحريص إذا فقد أهله وماله، فإنه يعلم أنها خسارة في الدنيا فيألم لفوات الخير فيها، ويعلم أن خسارة الدنيا نسبتها إلى خسارة الآخرة كلا شيء، فإن أعراض الدنيا زائلة آجلاً أو عاجلاً، أما ما عند الله عز وجل فلا يزول ولا يفنى قال الله تعالى:

﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[النحل: ٩٦].

لذلك فإن المؤمن عندما تفوته فريضة أو نفل أسرع في قضائه وعدم إهماله أو تركه عملاً بوصية النبي ﷺ:

«**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا**».

[أخرجه مسلم عن أنس بن مالك]

- **ومن علامات صحة القلب**: أن يجعل العبد همه واحداً يجعله في الله عز وجل أي في طاعة الله فالذي يحرك العبد من داخله هو محبة الله عز وجل ورجاء التلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ**

﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل: ١٩-٢١].

وفي الأثر عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "من شغله أمر دينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن سريرته أحسن الله علانيته، ومن أحسن ما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس".

- **ومن علامات صحة القلب:** أن يأنس المؤمن بالله عز وجل ويستوحش من غيره إلا بمن يدله عليه أو يذكره به كما قيل: "طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه".

فإن العبد إذا أحب الله أحب أن يخلو به، وإذا خلا بالله أنس به وسعد به والعكس بالعكس كما يقولون: "الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس".

- **ومن علامات صحة القلب:** أن يكون كلام الله عز وجل والكلام عنه أحب شيء إلى قلبه كما روي عن ابن مسعود قوله: "من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله"، وروي عنه أنه كان يُقبّل المصحف ويقول: "كلام ربي، كلام ربي".

وكان سيدنا عثمان رضي الله عنه يقول: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم".

- **ومن علامات صحة القلب:** أن يستقيم القلب على أوامر الله كما أمر الله نبيه ﷺ فقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ

﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود: ١١٢].

ويستقيم القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه.

الأمر الثاني: تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي، فإن الله تعالى ذمّ من لا يعظم أمره ونهيه فقال:

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣].

أي: مالكم لا تعتقدون عظمة الله تعالى ولا تخافونها ولا توقروها.

- فالمؤمن الذاكر يعلم أن من تعظيم الأمر والنهي الإسراع والاندفاع في أداء أوامر الله مع كامل سروره، وانشراح صدره وطمأنينة صدره دون تأخير أو تأجيل أو إهمال أو لا مبالاة.

كذلك الحرص الشديد عن الابتعاد عن النواهي مهما كانت مغرية مشتهاة، والحرص أكثر من ذلك عن الابتعاد عن المحرمات التي لا يمكن أن يقترب منها المؤمن أو يشتهيها أو ينظر اليها أو يسعى لها، بل لذته الشديدة وسرور العميق في الابتعاد عنها، وعدم الاقتراب منها أو إتيانها أو التفكير بها.

أخيراً: بعد أن بينت أهم الأمور التي تساعد على جعل القلب قلباً سليماً صحيحاً معافى مستنبطاً ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

- أقول : بما أن القلب أهم أعضاء الجسم وهو جوهرة ثمينة يجب

الحفاظ عليها كأغلى شيء يمتلكه الإنسان، والابتعاد بها عما يضرها ويؤذيها، فينبغي للمؤمن أن يحرص على سلامة قلبه أشد الحرص من أن يؤذيه شيء، أو يؤثر عليه أي مؤثر، لأنه كما بينا شديد التقلب والتأثر بما حوله.

– لذلك ينبغي لهذا المؤمن أن يكون واعياً منتبهاً مراقباً لكل ما يعترضه من شؤون الحياة خوفاً من أن يؤثر في سلامة قلبه.

– بمعنى أن ينتبه إلى كلامه مبتعداً عن الغيبة أو النميمة أو الكذب أو الحسد أو الحقد أو الظلم أو غير ذلك.

– منتبهاً إلى بصره فيما ينظر إليه، خائفاً من أن يقع بصره على محرم يؤذي قلبه، لأن القلب من أشد الأعضاء التقاطاً للصور والمحافظة عليها ومعاودة إظهارها وتكرارها وذكرها وتذكرها.

– فالمؤمن الذي يسعى لسلامة قلبه والمحافظة عليه يكون على أشد الانتباه لما تراه عيناه حتى لا تلتقط ما يثبت في قلبه ويصعب عليه إزالته ونسيانه.

– هذا المؤمن ينتبه أشد الانتباه لمعاملاته مع الناس من بيع أو شراء أو أخذ أو عطاء، وتقلباته معهم في الحياة، وخاصة ما يتعلق بالنساء، فلا يمكن نظره فيهن حتى لا يلتقط القلب صورة تهواها النفس فتؤثر على القلب ويصعب محوها.

– كذلك ينتبه إلى جميع وسائل التواصل، وما يعرض فيها مبتعداً وبحزم، وقوة إرادة لما يمكن أن يؤثر في قلبه ذلك التأثير السلبي الذي يصعب

إزالته.

- كذلك فإن هذا المؤمن يحرص حرصاً شديداً على ما يلتقطه سمعه مما يخالف الشريعة ويؤذي إيمانه ويشوش قلبه، فلا يجلس في مجالس لا تقربه من الله عز وجل ولا يشارك في مجالس مناقشة أو حوار ليس فيها ما يغذي قلبه بالإيمان والتقرب من الرحمن، لا يغيب عن قلبه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

- وذلك حرصاً منه على قلبه الذي يتصف بصفة التقلب والتغير و التأثير.

- هذا المؤمن شديد الفطنة، قوي الإرادة، عميق التفكير فيما يحدث من حوله، يبتعد عن كل ما يؤثر غي قلبه سلبياً، مقترباً من كل ما يمكن أن يؤثر فيه إيجابياً، لا يؤثر فيه غواية الشياطين من الجن والإنس، ولا الشهوات أو الرغبات أو الهوى أو ما يبعده عن الله عز وجل، مهما قويت ومهما برزت، ومهما امتدت، ومهما تجملت، ومهما تلونت، فهو الحريص أشد الحرص عل سلامة قلبه ورضا ربه، دائم الدعاء بدعاء القرآن :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]

ذكر الله القلبي

– بعد أن تحدثت عن القلب سأتحدث الآن عن الذكر القلبي والذكر القلبي هو أحد أنواع الذكر بل هو أهمها لفهم معاني أنواع الذكر الأخرى، أو التلذذ بها والاستفادة منها وقد أشار الله عزَّ وجلَّ لهذا النوع من الذكر، فقال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

وفي قولــــه: **﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾**[الكهف: ٢٨].

– والذكر القلبي جلسة مع الله كما جاء في الحديث القدسي:

«**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**». [أخرجه أبو نعيم في الحلية عن كعب]

– والذكر القلبي فيه الشعور بمعية الله والقرب منه كما جاء في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

– والذكر القلبي هو ملاحظة الذاكر في ذكره أنه بين يدي الله مع ملاحظة هيبة الله عزَّ وجلَّ وجلاله ومحاولة الذاكر ألا يلهيه عن ذكر الله

شيء، لأن القلب محل نظر الله المتجلي الغفار، وموضع الإيمان ومعدن الأسرار ومنبع الأنوار، كما قال تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾. [المجادلة: ٢٢]

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾. [الحجرات: ٧]

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

فبصلاح القلب يصلح الجسد كله وبفساده يفسد الجسد كله كما قال ﷺ:

«**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**» [أخرجه البخاري عن النعمان]

ولا يكون العبد مؤمناً إلا بعقد القلب على ما يجب الإيمان به، بين ذلك سبحانه وتعالى في حديثه عن الأعراب فقال: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[الحجرات: ١٤].

وفي الحديث عن الذكر القلبي نستأنس بما رواه أنس فقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»، **قَالَ: قَالَ**

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ». [قالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ]

في هذا الحديث إشارة واضحة إلى جلسة الذكر وإشارة إلى الذكر في حالة الجلوس، وإشارة إلى مدة الذكر من بعد أداء فريضة صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس للوقت الذي يصلى فيه صلاة الضحى وهذه المدة تقارب الساعة أو تزيد.

قالت عائشة: « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ**». [أخرجه أحمد عن جابر]

- وكان ﷺ يقول: «**لَأَنْ أَشْهَدَ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَجْلِسَ أَذْكُرَ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْمِلَ عَلَى جِيَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». [أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد]

- وكان ﷺ يحث الصحابة على اغتنام هذا الوقت بذكر الله فيقول: «**مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ قَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَلْفَحَهُ أَوْ تَطْعَمَهُ**».

[أخرجه البيهقي في شعبه عن الحسن بن علي]

- وكان النبي ﷺ يوصي الصحابة بقوله «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلُ غَنِيمَةً وَأَسْرَعُ رَجْعَةً؟ قَوْمٌ شَهِدُوا صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأُولَئِكَ أَسْرَعُ رَجْعَةً وَأَفْضَلُ غَنِيمَةً**».

[أخرجه الترمذي عن عمر رضي الله عنه]

ولكن ليس في حديث أنس إشارة إلى نوع الذكر فقد ترك النبي ﷺ

للمسلم أن يذكر بما شاء من أنواع الذكر كقراءة القرآن أو التسبيح أو التحميد، أو التهليل أو التكبير أو غير ذلك.

- وقد وجه كثير من العلماء وعلى مر الزمان إلى أوراد نابعة من القرآن والسنة لملء هذا الوقت بهذه الأوراد.

- وهناك من العلماء من أشاد باستغلال هذا الوقت بالذكر القلبي مستدلين على ذلك من قوله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾** ﴾. [الأعراف: ٢٠٥]

- قال العلماء في قوله تعالى: ﴿في نفسك﴾ أي: في قلبك.

- وقال العارفون بالله من أهل الذكر: أفضل الذكر ما كان خفياً في القلب، وسرياً في أعماق النفس، وذلك بملاحظة القلب يذكر اسم الله تعالى مع كل نبضة من نبضاته، وملاحظة نور الله تعالى يتدفق إليه مع كل لحظة تفد إليه.

- وقال الجنيد: من الأعمال مالا يطلع عليه الحفظة، وهو ذكر الله بالقلب وما طويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم واعتقاد الخوف وإجلال أوامره والخوف من نواهيه.

❁ ❁ ❁

حقيقة ذكر الله القلبي

بقلـــب فاذكـــر الله خفيـــاً　　عـن الخلـق بـلا حـرف وقـال
وهـذا الـذكر أفضـل كـل ذكـر　　بهـذا قـد جـرى قـول الرجـال

– بعد أن بينت ماهية القلب ومعنى ذكر الله القلبي، أتحدث الآن عن حقيقة ذكر الله القلبي، وهذا الذكر هو أحد أنواع ذكر الله عز وجل:

– وإن حقيقة الذكر القلبي هي: ألا يغيب قلب المؤمن عن مراقبة الله والشعور به لحظة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾[آل عمران: ١٩١].

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها تتحدث عن النبي ﷺ:

«**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[متفق عليه].

وحقيقة الذكر القلبي هو طرد الغفلة عن القلب والانشغال بغير بالله، وهذه مقدمة الذكر، ثم بعد ذلك فإن هذا الذاكر هو في سياحة روحية مع الله عز وجل تمتلئ بالحب والحنان واللذة والطمأنينة والقرب والمعيّة.

وحقيقـة الـذكر القلـبي أنـه أهـم الوسـائل لتكميـل الـنفس وتهـذيبها ولسـيرها نحـو القـرب مـن الله عـز وجـل، حيـث إن السـير والسـلوك إلى الله ينطلق من ذكره تعالى، وأن أكثر ما يساعد السالك على طي المسافات هو المداومة والإكثار من ذكر الله.

قال أبو الدرداء: "لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله".

وقال أحد العارفين الذاكرين: "الذكر للقلب مثل السمك في الماء فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء".

والذكر القلبي هو تحريك القلب بذكر الله عزَّ وجلَّ والدوام عليه حتى يغرس اسم الله الأعظم في هذا القلب.

ولكن ينبغي للمؤمن أن يُخصص كلَّ يوم جلسة مع نفسه يذكر الله فيها وخاصة في الصباح والمساء، كما قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

وجاء في الحديث القدسي: «**ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةٌ أَكْفِكَ مَا بَيْنَهُمَا**».[أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة]

والأكمل أن يجلس المؤمن هذه الجلسة مع الذاكرين كما جاء في وصية النبي ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» **قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ:** «**حِلَقُ الذِّكْرِ**». [أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

علاقة الطريقة النقشبندية بالذكر القلبي

– إن المربين والعارفين بالله والأولياء والعلماء الدعاة وجهوا إلى أوراد تتضمن ذكر الله ﷿ مستنبطة من القرآن والسنة ومن هذه الأوراد ما سُمي بالطرق نسبة إلى اسم العالم الذي وجه إليها ومن هذه الأوراد والطرق: الطريقة النقشبندية نسبةً إلى شيخ هذه الطريقة وهو محمد بهاء الدين النقشبندي الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند والمتوفى ٧٩١هـ /١٣٨٨م وهو قد أخذها من علمائه المتصلين بالسند إلى الشيخ عبد الخالق الغجدواني المتوفى ٥٧٥هـ / ١١٧٩م والمتصلين بالسند من قبله عن علماء أخذوها عن أبي يزيد طيفور البسطامي المتوفى ٢٤٧هـ / ٨٧٧ م وسميت هذه الطريقة بزمانه بالطيفورية نسبة إليه وهو أخذها عن علماء أخذوها عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﵁ المتوفى ٣٦هـ/٦٥٦م، وهو قد أخذها عن سيدنا أبي بكر الصديق ﵁ لذلك يسمونها أيضا بالطريقة الصدّيقيَّة ويُعتبَرُ سيدنا أبو بكر الصديق المؤسس الأول لهذه الطريقة وبذلك يرجعونها إلى النبي ﷺ.

– وكلمةُ النقشبندية كلمة كرديةٌ مؤلفة من جزأين: (نقشٌ وهو الحفر وبندٌ أي القلب) ومعناها:– أي الطريقة النقشبندية — أن طريقة ذكرها هي نقش القلب باسم الله و ذلك دلالة على ثبات اسم الله وبقائه في القلب من غير محوٍ، فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه).

– فهذه الطريقة هي الطريقة الوحيدة من طرق التصوف التي تعتمد

على القلب في ذكر الله تعالى .

طريقة الذكر القلبي الخفي النقشبندي

- هذه الطريقة تعتمد على الخلوة مع الله عز وجل، فينشغل الذاكر بذكر الله مبتعداً عن كل ما يشغله عن ذلك.

- وهذه الطريقة هي أشبه ما يكون صاحبها من أهل الكهف أولئك الفتية الذين تركوا مجتمعهم الفاسد الممتلئ بالشهوات والمعاصي، والبعد عن الله عز وجل، والتمسك بشرعه، فارين بدينهم إلى كهف يعبدون الله فيه عن الناس مبتعدين عن تلك المغريات والشهوات والمفاسد والمعاصي ذاكرين الله عز وجل، ومتوجهين إليه، متفرغين لعبادته، فأكرمهم الله بزيادة هداياتهم وهيأ لهم ما فيه نجاحهم وسعادتهم وسرورهم وجعل لهم من أمرهم رشداً قال تعالى:

﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٢-١٦]

- وهذه الطريقة أيضاً أشبه ما تكون بخلوة سيدنا محمد ﷺ في غار حراء حيث ابتعد عن قومه، وما يعبدون، وعن غوغائهم ووثنيتهم وجدالهم

وجهلهم، واختلى بنفسه مع الله إلى أن منَّ الله عليه بوصاله وتشريفه بالنبوة.

فطريقة الذكر القلبي الخفي النقشبندي هي خلوة الذاكر مع الله، وبعده عن المخلوقين، مراقباً لله، شاعراً بقربه متلذذاً بمعيته، في حالة اطمئنان قلبه، وانشراح صدره، وسرور خاطره.

- فمن أراد أن يذكر بهذا النوع من الذكر فينبغي له أن يكون على وضوء، ثم يجلس باتجاه القبلة متوجهاً بقلبه إلى الله مغمضاً عينيه يردد الأذكار كما يلي:

أولاً: البدءُ بدعاء استفتاح الذكر:

(اللهم يا مفتح الأبواب، ويا مسبب الأسباب، ويا دليل المتحيرين، ويا غياث المستغيثين، أغثنا يا رب العالمين، توكلنا عليك ونفوض أمورنا إليك، نستغفرك ونتوب إليك، إن الله بصير بالعباد، يا فتاح يا وهاب يا باسط ... أستغفر الله).

ثانياً: الاستغفار (خمساً وعشرين مرة) من أجل البدء بالذكر عملاً بقوله سبحانه:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[نوح: ١٠].

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وذلك حتى يُغسل القلب من أدرانه وغفلاته وأمراضه تأسياً بقوله ﷺ:

«**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

[أخرجه مسلم عن أبي بردة]

وقوله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الذُّنُوبُ، وَدَوَاؤُكُمُ الاِسْتِغْفَارُ**». [أخرجه البيهقي في شعبه عن أنس بن مالك]

وقوله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**».

[أخرجه أبو داود عن ابن عباس]

وقد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: سمعت الرسول ﷺ يوم حجة الوداع يقول:

«**إن الله عز وجل قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر بنية صادقة غفر له**»[مشيخة قاضي المارستان].

وقال ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ**»﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤] [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة].

ثالثاً: قراءة سورة الفاتحة بنية الاستفتاح والفتح والشفاء، قال ﷺ:

«**فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**».

[أخرجه الدارمي عن عبد الملك بن عمير]

رابعاً: قراءة سورة الإخلاص (ثلاث مرات) استقطاباً لأنوار القرآن الكريم من خلال حديث النبي ﷺ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». [أخرجه مسلم عن أبي الدرداء]

خامساً: قراءة سورة الانشراح بنية شرح الصدر واستقبال نور الذكر وتيسير الأمور وتهيئة القلب للذكر والرغبة في القرب من الله عزَّ وجلَّ.

سادساً: الصلاة على النبي ﷺ (ثلاث مرات) بضمير المخاطب والتوجه إليه والارتباط به كما في التشهد (الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله) مع الاستشعار بالوقوف أمام المواجهة له في مقامه في المدينة المنورة.

سابعاً: استرشاداً بقول النبي ﷺ: «خِيَارُكُم الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ بِهِمْ». [أخرجه البيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمر]

واسترشاداً بجواب النبي ﷺ عندما سئل أي جلسائنا خير؟

فقال : «**مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ**». [أخرجه أبو يعلى عن ابن عباس]

وعملاً بالأثر الذي يقول: "بذكر الصالحين تتنزل الرحمات".

نترضى ونترحم على صحابة رسول الله أجمعين وآل بيته الطيبين الطاهرين وتابعيهم وتابع تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، والأقطاب والأبدال والأوتاد وأهل الله أجمعين وأهل الصفاء والنقاء، والأولياء والصالحين

وأهل الذكر والقرآن الحكيم، وأهل التصوف أجمعين، ونخصُّ منهم أصحاب الطريقة النقشبندية المسلسلة من أبي بكر الصديق إلى شيخنا الذي سلَّكنا هذا الطريق، رحمهم الله وجزاهم الله عنا كل خير، اللهم ثبتنا على هذه الطريقة واحفظنا بها وانفعنا بها.

وهذا استرشاد بقول النبي ﷺ: «**لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ، وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ**». [أخرجه أحمد عن عمرو بن الجموح]

- وحبذا أن ندعو بما ورد عن أهل هذه الطريقة:

(اللهم اجعلنا من المحسوبين عليهم، ومن المنسوبين إليهم، ووفقنا لما تحبه وترضاه عنا يا أرحم الراحمين، اللهم أجرنا من الخواطر النفسية، واحفظنا معهم من الشهوات الشيطانية، وطهرنا من القاذورات البشرية، و صفِّ قلوبنا بصفاء المحبة الصديقية، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسالك أن تحيي قلوبنا وأرواحنا وأجسامنا بنور معرفتك ووصلك وتجلياتك دائماً باقياً يا رب العالمين).

ثامناً: قطع العلائق من المخلوقات جميعاً وتفريغُ القلب بالذكر الخالص لله تعالى بترديد القلب (الله .. الله .. الله) ويساعد على ذلك حبس الذاكر لنَفَسِه ثم يردد بعد كل نَفَس يطلقه (إلهي أنت مقصودي

ورضاك مطلوبي) ويكرر ذلك بمقدار نصف ساعة تقريباً.

قال الشيخ أمين الكردي النقشبندي في كتابه (تنوير القلوب):

بقلـــب فـــاذكر الله خفيـــاً عـن الخلـق بـلا حـرف وقـال
وهـذا الـذكر أفضـل كـل ذكـر بهـذا قـد جـرى قـول الرجـال

ملاحظة: يمرُّ على الذاكر أثناء الذكر أحوالاً تتحول وتتغير وتتبدل فإذا قوي الحال انقلب إلى مقام والمقام باق إلى ما شاء الله، ولا بدَّ للذاكر من مربٍّ يشرحُ له هذه الأحوال والمقامات ليكون على بينة منها.

وهـدف الطريقـة النقشـبندية تحصيل الإيمـان اليقيـني بـالله عـزَّ وجـلَّ، وتقوية اليقين، وتحقيق الاطمئنان القلبي ،وتعميق الصلة بالله عز وجل حتى يصل إلى مقام الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) مع الالتزام بالعمل بالشريعة الغراء، و الاستقامة عليها بيسرٍ دون كسل، وليس مقصود هذه الطريقة خرق ستار الغيب ولا تحصيل شيء زائد على عقيدة أهل السنة والجماعة.

الذكر باللفظ المفرد الله .. الله .. الله:

رغّب كثيرٌ من العلماء الذاكرين من أولياء الله وأحبابه وأصفيائه

وخلانه بنوع من أنواع الذكر القلبي يذكر الذاكر ربه في قلبه مردداً:

(**الله – الله – الله**) مستدلين على ذلك من قول الله سبحانه:

﴿ **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨** ﴾[المزمل: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٥** ﴾[الإنسان: ٢٥].

وما أجمل أن يلاحظ الذاكر في الآيتين السابقتين قوله تعالى:

﴿ **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ** ﴾ وفيها إشارة إلى ذكر اسم الله، واسم ربنا هو: (الله) وهو اسم الذات بل عند أبي حنيفة وغيره هو اسم الله الأعظم وباقي الأسماء هي أسماء الصفات.

- و استدل على ذلك ايضاً من مخاطبة الله لسيدنا محمد ﷺ:

﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ** ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٥** ﴾[لقمان: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٦١** ﴾[العنكبوت: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤** ﴾ [طه: ١٤].

- وهذه الآيات كلها يستدل بها على ذكر الله عز وجل باسم (الله) دون حرج.

- كذلك استدل أصحاب هذه الطريقة بعدة أحاديث تبين توجيه النبي ﷺ بالذكر باسم (الله) الأعظم (لله — الله – الله) ومنها: ما رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ**».

[أخرجه مسلم]

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللهُ، اللهُ**».

وروى ثابت البنانيّ رضي الله عنه قال: كان سلمان رضي الله عنه في عصابة (جماعة) يذكرون الله فمرَّ النبي ﷺ فكفوا فَقَالَ: «**مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ؟**» **فَقُلْنَا: نَذْكُرُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:** «**قُولُوا، فَإِنِّي رَأَيْتُ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ عَلَيْكُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُشَارِكَكُمْ فِيهَا**». [أخرجه أبو نعيم في الحلية]

- وفي هذا الموضوع يذكر العلماء قوله ﷺ:

«**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[أخرجه مسلم عن أبي هريرة].

- قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: ذاكر هذا الاسم (**الله**) ذاهبٌ عن نفسه، متصلٌ بربه، قائمٌ بأداء حقه، ناظرٌ إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته.

وقال: (من الأعمال ما لا يطلع عليه الحفظة، وهو ذكر الله بالقلب، وما طويت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم، واعتقاد الخوف وإجلال أوامره ، والعمل بها ، والبعد عن نواهيه ومحرماته).

– وقال العلامة الخادمي رحمه الله: واعلم أن اسم الجلالة (**الله**) هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن إسحاق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء، وهو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية ومحققي العارفين، فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر لاسم (**الله**) مجرداً، قال الله لنبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ** ﴾.

– وقد ورد عن العلماء الذاكرين أن قول: (**الله – الله – الله**) إنما هو نداءٌ بحذف أداة النداء وأصله (**يا الله– يا الله– يا الله**) كقوله تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا** ﴾ [يوسف: ٢٩] وأصله يا يوسف.

– فذاكرُ الله بقلبه بقوله: (**الله–الله–الله**) أي (**يا الله– يا الله– يا الله**) ومع كل نداء في هذا الذكر استشعار بدعاء و طلب و مناجاة لله في أن يحقق له ما يحبه و يرغبه و يتمناه .

– و مع كل نداء في هذا الذكر أحوالٌ ومقامات وأحاسيس وفوائد لا تُحصى لا يعرفها إلا من ذاقها و سنتحدّث عنها بالتفصيل لاحقاً.

– وربما يقول قائل: إنَّ اسم الله مبتدأ يحتاج إلى خبر والجواب: إن الله تعالى يأمر به أن يكرر هذا الاسم بدليل الآيات التي أوردناها سابقاً، وجعل الخبر محذوفاً لتبقى الذات متعددة الجوانب بكل معانيها، والمعلوم أنَّ الحذف من البلاغة، فالمؤمن يعرف من هو الله وليس بحاجة إلى صفة تذكره بالموصوف، وهذا الاسم هو اسم الذات أمرنا الله أن نذكره به لأنه الاسم المفرد وما عدا ذلك فكله من أسماء الصفات.

- قال الشيخ محيي الدين بن عربي: "واشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار - وأعلاها قدراً ورتبة ونتيجة - الاسم الأعظم زهو قولك: (**الله — الله — الله**) لا تزيد عليها شيئاً، وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو: (**الله — الله — الله**) وتَحَفّظ أن يفوه به لسانك وليكن قلبك هو القائل، ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر".

وقال الإمام النووي رحمه الله: الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل.

- وقال الغزالي رحمه الله: اعتكفت أذكر الله تعالى بهذا الاسم: (**الله — الله — الله**) حتى انكشفت لي العوالم فرأيت ما أبوح به وما لا يمكن أن أبوح به.

- وفي هذا السياق وبعد كل ما مر معنا في هذا الموضوع وأقوال هؤلاء العلماء الأفاضل المشهورين وغيرهم كثير من كبار علماء هذه الأمة وأوليائهم والعارفين بالله فإنني لأعجب عجباً شديداً من أولئك الذين يتحدثون في مثل هذا الموضوع وغيره ويجعلونه بدعة ضلالة - وإن تغير الأمر عند هؤلاء في هذه الأيام وتراجعوا عن كثير من آرائهم بعد أن خربوا الأفكار في كثير من البلاد الإسلامية على مدى سنوات عديدة - ولم يستمعوا إلى قول الشافعي رحمه الله تعالى: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم).

[أبو نعيم في الحلية ج٩ ص١١٣]

وأخرج البيهقي عن الإمام الشافعي في مناقبه: "المحدثات ضربان: ما أُحدث فيه مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة، وما أُحدث فيه من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهو محدثة غير مذمومة".

[ابن حجر: فتح الباري، جزء ٢٠، ص ٣٣٠]

ـ وقد تحدث العديد من العلماء في البدعة، وأوصلوها إلى خمسة أقسام:

- **واجبة**: مثل تعلم النحو، ونظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين...
- **مندوبة**: مثل الأذان على المنائر، وتصنيف كتب العلم وبناء المدارس وغير ذلك...
- **مباحة**: مثل استعمال المنخل، والتوسع في المأكل والمشرب...
- **مكروهة**: مثل تزيين المصاحف وزخرفة المساجد...
- **محرمة**: وهي ما أحدث مخالفاً السنة، ولم تشمله أدلة الشرع العامة، ولم يحتوِ على مصلحة شرعية.

– ومما يوضح فهم هذا الموضوع حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**. [أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله]

– هذا وقد سنّ بعض الصحابة أموراً في العبادات في عهد النبي ﷺ فوافقهم عليها وأقرّها، وأُخذ بها على أنها سنة حسنة، والأمثلة في ذلك كثيرة أذكر منها بعض الأمثلة للاستئناس بها والاستفادة منها :

ــ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّى وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ الْمُتَكَلِّمُ**»، قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**». [أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله]

قال الحافظ ابن حجر وهو يشرح الحديث: (يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور، وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش) [ابن حجر: فتح الباري جزء٣، ص١٨٨]

ــ وعن عَبْد الله بن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ: «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: «اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا».

[أخرجه ابن ماجه]

ـــ وعَن أنس بن مَالك ﷺ قَالَ قَالَ أبي بن كَعْب لأدخلن الْمَسْجِد فلأصلين ولأحمدن الله بِمَحَامِد لم يحمده بهَا أحد فَلَمَّا صلى وَجلسَ ليحمد الله ويثني عَلَيْهِ فَإِذا هُوَ بِصَوْت عَال من خَلفه يَقُول: «**اللَّهُمَّ لَك الْحَمد كُله وَلَك الْملك كُله وبيدك الْخَيْر كُله وَإِلَيْك يرجع الْأَمر كُله عَلَانِيَته وسره لَك الْحَمد إِنَّك على كل شَيْء قدير اغْفِر لي مَا مضى من ذُنُوبِي واعصمني فِيمَا بَقِي من عمري وارزقني أعمالا زاكية ترْضى بهَا عني وَتب عَليّ**، فَأتى رَسُول الله ﷺ فَقص عَلَيْهِ فَقَالَ: «**ذَاك جِبْرَائِيل عَلَيْهِ السَّلَام**». [أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا فِي كتاب الذّكر]

– وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ، فقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ» فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ «يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ».

[أخرجه الترمذي]

– من هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ يلتقط الدعوات المنسوبة إلى الشجرة ويأخذ يرددها في سجوده خاشعاً لرب العالمين.

– قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث البخاري (وشر الأمور محدثاتها):

البدعة لغة: كل شيء أحدث على غير مثال.

- هذا وإن الأحاديث الأربعة السابقة التي مرت معنا تدل على أن الصحابة ابتدعوها ولم تصدر من النبي ﷺ وقد أقرها ﷺ بل وزكاها وذكر ثوابها العظيم.

- وماذا لو ابتدع مؤمن مثلها من الذكر والحمد والثناء على الله في غير زمان النبي ﷺ أفلا تكون مثالاً وقياساً لما صدر من أولئك الصحابة الكرام ؟ كما ورد ذكره في شرح الحافظ ابن حجر للحديث السابق.

- ومن هذا القبيل ما ورد معنا سابقاً من ذكر الله عز وجل بلفظ (الله - الله - الله)، علماً أن لذلك أدلة واضحة من القرآن والسنة وهو طريقة تهواه النفوس الصافية، وتطمئن له القلوب النيرة، وتنشرح له الصدور المؤمنة.

- قال أحد العارفين الذاكرين:

بذكر الله ترتاح القلوب ودنيانا بذكره تطيب

- نعم إن أهل الذكر الحقيقيين هم أولئك الذين يتقيدون في كل تصرفاتهم وخاصة في أذكارهم ومجالس ذكرهم بتعاليم القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وما يظهر من بعض من يدعون أنهم من أهل الذكر من أمور مخالفة لتعاليم الكتاب والسنة، فلا يقبل منهم ذلك، وأعمالهم مردودة عليهم وهي بدعة ضلالة.

- ومن الأمثلة على ذلك ما يظهر عن بعض من يدعون أنهم من أهل ذكر الله عز وجل من ضرب بالشيش، أو أكل للزجاج، أو إخراج النار

من أفواههم، أو حركات الرقص، أو ما يكون من اختلاط النساء مع الرجال في مجالس الذكر، أو بعض الأناشيد التي تلقى أثناء الذكر والتي فيها خروج عن تعاليم الكتاب والسنة في كلماتها أو معانيها، أو التي يستعمل فيها العديد من الآلات الموسيقية.

- مثل ذلك وأمثاله كثير لا يقبل عند أهل الذكر الحقيقيين وهو مناف للكتاب والسنة، وهو بدعة ضلالة لا شك في ذلك ولا ريب، وأفعال هؤلاء مردودة عليهم، وهم محاسبون عليها.

- هذا ولا يوافق أحد من أهل الذكر الحقيقيين على مثل ذلك أبداً، وليس لأولئك المبتدعين صلة حقيقية بأهل الله وأوليائه وأهل الذكر، وإن ادعوا ذلك وصاحبوهم فدعواهم باطلة وأعمالهم مردودة عليهم.

- وما أجمل المؤمن الذاكر أن يسعى جاهداً إلى جلسات الذكر الجماعي وأن يدعو إليها كما كان يفعل الصحابة الكرام ويسمون تلك الجلسة التي ينفردون بها مع الله للدعاء والمناجاة والذكر وبث الشكوى وطلب الحاجات يسمونها مجالس الإيمان، ومجالس الصفا والعرفان، ويدعون بعضهم بعضاً بقولهم: (تعال نؤمن بربنا ساعة) وذلك من خلال أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ تَعَالَ نُؤْمِنُ بِرَبِّنَا سَاعَةً. فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ فَغَضِبَ الرَّجُلُ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يَرْغَبُ

عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلاَئِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ**».

[أخرجه أحمد في مسنده]

– وعن عطاء بن يسار، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له:

"تعال حتى نؤمن ساعة"، قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: "بلى، ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً".

– عن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال لنا اجلسوا بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله ﷻ. [أخرجه أبو نعيم في الحلية]

عن زر بن حبيش قال: "كان عمر مما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول قم بنا نزداد إيمانا فيذكرون الله".

[أخرجه ابن أبي شيبة، واللالكائي في السنة]

وكان رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين ويشمئزُّ من كل تجمّعٍ خلا من ذكر الله سبحانه وفي ذلك يقول: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً**».

[سنن أبي داود عن أبي هريرة]

آداب الذكر القلبي

إن للذكر القلبي بالطريقة النقشبندية آداباً متعددة أهمها:

١- الوضوء قبل الذكر.

٢- الجلوس باتجاه القبلة، وحبذا أن تكون أول جلسة الذاكر على ركبتيه.

٣- إغماض العينين، ومراقبة القلب وحثه على ذكر الله.

٤- بدء الذكر بالانقطاع عن كل شيء إلا ذكر الله لقوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل: ٨]، أي انقطع إليه أيها الذاكر له انقطاعاً كلياً وتوجه إليه بكل شعورك وأحاسيسك وأخلص لله إخلاصاً مع تذكير نفسك بأنك جالسٌ بين يدي الله عزَّ وجلَّ محاولاً توجيه قلبك نحو ذكر الله دون غفلة عنه، ومغالباً النُّعاس أو النوم مع تنبيه النائم في جلسات الذكر الجماعي إذا سُمِعَ صوتُ نومه بوضع اليد على كتفه.

- وينبغي للذاكر دفع الخواطر وعدم الالتفات إليها وعدم حل أي مشكلة أثناء الذكر محاولاً جميع جوارحه كلها على ذكر الله سبحانه.

٥- البدء باستفتاح الذكر ومقدماته التي مرت معنا سابقاً.

٦- حبسُ الذاكر نَفَسَه أثناء الذكر إلى أن يضيق صدره فيطلق نَفَسه بقوله: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي).

٧- أقل مقدار الذكر اليومي كما قرّر أهلُ هذه الطريقة (خمسون

مسبحة ذات المائة حبة) أي خمسة آلاف مرة (الله–الله–الله) أي ما يقارب نصف ساعة من الزمن مع اختيار الوقت المناسب للذكر وتهيئة النفس لذلك والأفضل صباحاً بعد صلاة الفجر أو مساءً بين المغرب والعشاء أو قبل النوم.

٨– عدم التكلم مع الآخرين أثناء الذكر، وإذا احتاج الذاكر أن يتكلم مع أحد فينبغي له أن يُنهي ذكره بقراءة الفاتحة؛ لأنه جالسٌ مع الله فينبغي له ألا يتحول مباشرة إلى عباد الله، وبعد أن يعود إلى الذكر يستغفر الله ثلاثاً ويستمرّ.

٩– ينبغي للذاكر عدم الالتفات أو مراقبة الآخرين أو الانشغال بأي شاغل أثناء الذكر.

١٠– ينبغي للذاكر إذا أراد إنهاء ذكره أن يُصليَ على النبي ﷺ ثلاثاً ثم يقرأ الفاتحة بعد أن يدعو ربّه بما شاء.

– يقول ابن عطاء الله الاسكندري في كتاب(مفتاح الفلاح):

للذكر آداب سابقة(أي قبل الذكر)، وآداب لاحقة (أي بعد الذكر)، وآداب المقارنة(أي اثناء الذكر) ومنها ظاهرة ومنها باطنة.

أما الآداب السابقة فمنها: التوبة، وتهذيب النفس، وتخفيف العلائق، وقطع كل عائق والطهارة الباطن بأكل الحلال مع ملبس الحلال الطاهر المطيب للرائحة الطيبة.

ومن آداب المقارنة –أي للذكر–: الإخلاص، وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة، والجلوس متربعاً مستقبلاً القبلة.

ومن آدابه اللاحقة : (أي بعد الذكر) أن يركن إلى قلبه قبل مخالطة الآخرين ليتلقى وارد الذكر من النفحات و الأعطيات الربانية الحاصلة عقب الذكر ، فكما أن الله تعالى أجرى العادة بإرسال الرياح بشرى بين يدي رحمته ، أجرى العادة بإرسال رياح الذكر بشرى بين يدي رحمته .

أهمية الذكر الجماعي و خاصة في المساجد

- إن للذكر الجماعي و خاصة في المساجد أهمية كبرى ذكرت في القرآن الكريم و السنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾** ﴾ [البقرة: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿ **فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾** ﴾ [النور: ٣٦].

- و حبذا أن ينتبه المؤمن في الآيتين لقوله تعالى: **يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ** مستدلاً منها على ذكر الله باسمه (**الله**)

- وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» **قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ:** «**حِلَقُ الذِّكْرِ**». [أخرجه الترمذي عن أنس]

وقال ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». [مسلم عن أبي هريرة]

وخرج رسول الله عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا**

إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ». [مسلم عن أبي هريرة]

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ**». [أخرجه أحمد عن أنس ﷺ]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: **مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ**: «**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ الْجَنَّةُ**». [مسند أحمد]

وَعَن أبي الدَّرْدَاء ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ «**ليبْعَثن الله أَقْوَامًا يَوْم الْقِيَامَة فِي وُجُوههم النُّور على مَنَابِر اللُّؤْلُؤ يَغْبِطهُمُ النَّاس لَيْسُوا بِأَنْبِيَاء وَلَا شُهَدَاء**» قَالَ فَجَثَا أَعْرَابِي على رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُول الله حلهم لنا نعرفهم (أي صفهم لنا لنتعرف عليهم) قَالَ: «**هم المتحابون فِي الله من قبائل شَتَّى وبلاد شَتَّى يَجْتَمعُونَ على ذكر الله يذكرُونَهُ**».

[رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ بِإِسْنَاد حسن]

وقال ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ:**

وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

قال سيدنا لقمان الحكيم: في وصيته لابنه: "يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تكُ عالماً ينفعك علمك، وإن تكُ جاهلاً علموك، ولعل الله تعالى يطلع عليهم برحمته فيصيبك رحمة معهم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم".

❁ ❁ ❁

أحوال الذكر

- أحوال الذكر هي كل ما يمر على فكر وخاطر ونفس وقلب الذاكر أثناء ذكر الله عزَّ وجلَّ في الذكر القلبي.

- وهي تُسمَى بالأحوال لأنها تحول وتزول وتتغير وتتبدل، وهي منحة إلهية يمنحها الله عزَّ وجلَّ للذاكر، فيها ما ينشرح له الصدر ويطمئنُّ لها القلب وفيها ما تكدر وتؤلم فينقبض لها الصدر ويتشوش بها القلب، فالأحوال كاشفة لحقائق الذاكر وحاله ومجريات أموره، فهي في الحالتين دواءٌ له وتبيانٌ لحاله فيها تعزيزٌ لحاله الحسن، أو تذكير بتفريطه وإهماله وغفلاته.

- وينبغي للذاكر أن يسعى في الأحوال المسرة الحسنة التي فيها رضاء الله عزَّ وجلَّ أن يسعى لتحويلها إلى مقامات مع الثبات عليها .

- **والمقامات** هي من الإقامة والثبات وعدم التغير أو التبدل، والمقامات يكتسبها العبد بالتزام الشريعة ومجاهدة النفس ومواصلة التربية، وأما **الأحوال** فهي من التحول والتغير والتبدل وعدم الدوام ومعنى الأحوال هو ما يحل بالقلوب، أو تحلُّ به القلوب من صفاء الأذكار وهو معنى يردُ على القلب من غير تعمُّد ولا اجتذاب ولا اكتساب وكان عارضاً سريع الزوال.

- وقد حكي عن الجنيد رحمه الله أن قال: الحالُ نازلةٌ بالقلوب فلا تدوم.

- وقال العارفون الذاكرون: الحال يأتي من فضل الله عزَّ وجلَّ وليس

من طريق المجاهدات والعبادات، بينما المقامات لابدَّ لها من طريق المجاهدات والعبادات، فالأحوال مواهبٌ، والمقامات مكاسب.

- وقالوا: الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصلُ ببذل المجهود.

- وقال العارف بالله محمد بن واسع رحمه الله: "كابدتُ الليل عشرين سنة فتنعمتُ به عشرين سنة".

- وقال العارف بالله مالك بن دينار رحمه الله: "حفظتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعمتُ بتلاوته عشرين سنة".

- أما الصحابة الكرام فكانوا سريعاً ما ينتقلون من الأحوال إلى المقامات التي استقاموا عليها طيلة حياتهم كالإيمان والإخلاص والصدق والصبر والتوكل والزهد وغير ذلك، فكان أحدُهم يقول: (ما كذبتُ منذ أسلمت).

وهناك في السنة النبوية الشريفة أمثلةٌ عن الحال و أمثلةٌ عن المقام: أما مثال الحال فهو ما جرى مع الصحابي الجليل حنظلة ﵁: **حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ**

إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيراً فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». [أخرجه مسلم]

- وأما مثال المقام: فهو انتقال الحال إلى المقام عند الصحابي الجليل حارث رضي الله عنه:

«إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ؟»، قَالَ: أَصْبَحْتُ، عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي؛ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ: «عَبْدٌ نُورُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، إِنْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ». [أخرجه ابن أبي شيبة وغيره]

- ولقد تحدث العارفون بالله من أهل الذكر القلبي عن الأحوال والمقامات التي تمر على هذا الذاكر أذكر منها:

أولاً: حال الحضور القلبي الدائم مع الله تعالى: هذا الحال هو عبارة أنَّ هذا الذاكر لله ومنذ ابتداء ذكره لله عز وجل قد أفاض الله عليه حالة لذة وصفاء وسرور وانشراح فهو يتلذذ بذكر الله مع مراقبته لقرب الله

منه وشعوره بمحبته ومعيته ، مبتعداً عن الغفلة عن الله أو الشرود عن ذكره بسبب مشاغل الدنيا وهمومها وآلامها وقد تجلى فيه قوله تعالى:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور: ٣٧].

- قال أحدُ العلماء الذاكرين في هذه الآية: إن هؤلاء الرجال الصادقين لا تلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن مجالس الذكر وأوقاتها و هم يمارسون جميع اعمالهم و قلوبهم مشغولة بالله ، كما أنهم في حالة ذكرهم لا يغفلون عن الله بالشرود في أعمالهم الدنيوية.

- من هذا القبيل قول السيدة رابعة العدوية في مناجاتها لله عز وجل أثناء ذكره:

ولقد جعلتك في الفؤاد مُحدثي   وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانسٌ   وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن هذا القبيل يقول أحد الذاكرين المحبين:

كيف ينسى المحب ذكر حبيبٍ   اسمه في فؤاده مكتوبُ

ولله در القائل:

والله ما طلعت شمس ولا غربت   إلا وذكرك مقرون بأنفاسي
ولا خلوت إلى قوم أحدثهم   إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولا ذكرتك محزوناً ولا فرحاً   إلا وأنت حديثي ثم إيناسي

- قال الشيخ عيسى الكردي قدس الله سره: دخلت السوق في مكة المكرمة فرأيت شاباً يبيع ويشتري وقلبه لم يغفل عن ذكر الله طرفة عين،

ورأيت حول الكعبة المشرفة أثناء الطواف رجلاً مسناً متعلقاً بأستار الكعبة يقول: يا رب يا رب وقلبه متعلق بالدنيا.

ثانياً: حال التفكر في مخلوقات الله للوصول إلى عظمته سبحانه:

فالذاكر أثناء الذكر يتلذذ بذكر الله من وراء تفكيره بعظمة الله وقدرته ورحمته فيما من على مخلوقاته في السماوات والأرض وما من على خلقه من نعم لا تعد ولا تحصى ، وفي هذا الحال يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: ١٩١].

- وما أجمل في هذا الحال أن نردد قول العارفين الذاكرين :

أشاهد معنى حسنكم فيلذ لي ... خضوعي لديكم في الهوى وتذللي

وأشتاق للمعنى الذي أنتم به ... ولولاكم ما شاقني ذكر منزلي

فلله كم من ليلة قطعتها ... بلذة عيش والرقيب بمعزل

- وعن جمهور العلماء أن التفكر على خمسة أوجه وهذا يمكن أن يكون في أحوال الذاكرين أثناء ذكرهم:

١- تفكر في آيات الله يتولد منه التوحيد واليقين.

٢- تفكر في آلاء الله يتولد منه المحبة.

٣- تفكر في وعد الله تعالى يتولد منه الرغبة.

٤- تفكر في وعيد الله يتولد منه الهيبة.

٥- تفكر في تقصير نفسه عن الطاعة مع إحسان الله إليه يتولد منه الحياء.

قال تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[البقرة: ٢٣١].

وقال سبحانه: ﴿ **فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [الأعراف: ٧٤].

ثالثاً: حال حبّ الله والقرب منه والتلذذ بذكره:

- وهذا الحال يشعر فيه الذاكر بانجذاب نحو الله وشعورٌ عميق بحب الله عزَّ وجلَّ فيردد قوله تعالى: ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ﴾[المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وبقدر محبة العبد لربه ينال محبة الله له، بين ذلك النبي ﷺ:

«إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ بِأَنْفُسِكُمْ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ». [أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

- قال أحد هؤلاء الذاكرين: "يا ربي ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، ولكن العجب من حبك لي يا ربي وأنت ملك قدير".

وهذ الحال ينتاب الذاكر أثناء ذكره فيشعر بعمق محبته لله والقرب منه

فيتلذذ بذكره ، ويستنير بأنواره، ويجعل المؤمن يُكثر من ذكر الله عزَّ وجلَّ فإن علامة حبِّ الله الإكثار من ذكره كما ورد: "من أحب شيئاً أكثر من ذكره".

وقالَ الْحَسَنُ: «**غَداً كُلُّ امْرِئٍ فِيمَا يهُمُّهُ وَمَنْ هَمَّ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ إِنَّهُ لَا عَاجِلَةَ لِمَنْ لَا آخِرَةَ لَهُ وَمَنْ آثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ**»[حلية الأولياء].

- وهذا الذاكر في هذا الحال يتمنى لو لم تنته جلسة الذكر لما يجده من لذة روحية في هذا الحال الذي يمر عليه من حبٍّ لله وتلذذ بذكره وإحساس بمعيته وشعور بقربه وعطائه ومنحه وكرمه وعظمته وقدره.

- وما أجمل في هذا الحال أن نردد ما كانت تردده رابعة العدوية في هذا المقام مع استشعار حقائق المعاني :

أحبك حبين حب الهوى	وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاك

رابعاً: حال الرغبة والرهبة مع التضرع والخيفة:

وهو حال ينتاب الذاكر أثناء ذكره لله وفيه رغبةٌ يبدي فيها الذاكر حاجته وما يرغب إليه من آمالٍ وأمنياتٍ يتدلل بها على الله مستأنساً بالله في تحقيق ما يريد مع رهبة وخوف منه سبحانه و يشعر حالة تقصيره في جنب الله وعبادته وطاعته خائفاً من سخط الله وغضبه وعذابه في الدنيا

والآخرة، أشار الله تعالى إلى هذه الحالات بقوله:

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠].

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

– فلا يسع هذا الذاكر إلا أن يناجي ربه بمناجاة العارفين الذاكرين:

رحماك يا رب العباد رجائي ورضاك قصدي فاستجب لدعائي
وحماك أبغي يا إلهي راجياً منك الرضا فجد بولائي
ناديت باسمك يا إلهي ضارعاً إن لم تجرني فمن يجير بكائي
أنت الكريم فلا تدعني تائهاً فلقد عييت من البعاد النائي
مالي سوى أعتاب جودك موئل فلئن طردت فمن سواك دوائي
فلقد رجوتك يا إلهي راجياً بمحمد ألا يخيب رجائي

خامساً: حال الخشوع و الهيبة و الحياء و الاعتذار :

وهو حال يخشع فيه قلب الذاكر لمقام الله عزَّ وجلَّ والقرب منه والتلذذ بذكره فيجدُ نفسه قريباً من الله يمرُّ عليه حالة تقصيره وغفلته وبعده عن الله وكيف أن الله عزَّ وجلَّ يمدُّه بالنعم التي لا تُحصى فيخجل من حاله وتقصيره فيبكي دموع الخشية من الله عزَّ وجلَّ مستسمحاً من الله عمَّا بدر منه سائلاً الله أن يعفو عنه وأن يُثبته على دينه ، ويردد في أعماق نفسه معاتبة الله للمؤمنين في قوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[الحديد: ١٦].

فيقول وهو يبكي نعم يا رب آن الأوان أن أرجع إليك وأتوب توبة نصوحا ولا أعصيك أبداً، ثم يناجي ربه قائلاً:

رب قد أقبلت في ظل رحابك   خاشع الطرف لدى نور شهابك
خاضع النفس ذليلاً صاغراً   وفؤادي ساجد يجثو ببابك
كم بكى يا رب في سجداته   إذ يهاب الهول في يوم حسابك
يرقب الغفران في يوم الظما   وهو يرجو الورد من فيض شرابك

سادساً: حال الطمأنينة أثناء الذكر مع انشراح الصدر والشعور بالسعادة والهناء:

وذلك من خلال الأُنس بذكر الله والشعور بقربه والتلذذ بذكره واستشعار حبه وعطائه وفضله فيطمئنُّ قلبه وينشرحُ صدره ولا يُقدَّرُ فرحه، فإذا به يرد على قلبه ولسانه قوله سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨].

- هذا الذاكر في هذه الحالة يتذكر آيات العذاب فيخشى ربه ويقشعر جلده ، ثم يتذكر آيات الثواب فيلين قلبه ويطمئن كما قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٢٣].

- وجاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي: "إن الله عزَّ وجلَّ يقول: أيّما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسّك بذكري توليت

سياسته وكنت جليسه ومحدّثه وأنيسه" (الإحياء١/٢٩٥).

- قال أحد الذاكرين العاشقين:

وإذا أحـــب اللهَ عبــدٌ مؤمـــنٌ   وجـد السعادة في الـدوام لـذكره
وإذا أدام الذكـــرَ في أحوالـــه   ينجـو دوامـاً مـن مآثـم شـــرّه
وإذاً سـيرقى في معــارج صـدقه   فيكـون في أسـراره مـع جـــهره

سابعاً: حال الوجل و الخوف و الفزع :

- من المعاصي التي ارتكبها أو من الغفلات و الإهمال و التقصير الذي بدر منه تجاه ربه و شرعه مع الخوف من غضب الله .

- وهو حال ينتاب الذاكر أثناء ذكره لربه وهو حال الخوف والفزع من المعصية أو غضب الله مما بدر منه من تقصير، أو إهمال، أو ذنوب أو أخطاء، أو غفلات، أو من وراء تذكره يوم القيامة والوقوف بين يدي الله، وهول الحساب، وعذاب النار فإذا به قد فاضت عيناه متلمساً رضاءَ الله ومسامحته وعفوه وغفرانه وتوبته، وبذلك يتحقق فيه قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢].

- فإذا بهذا الذاكر يردد في أثناء ذكره ما أنشده الشافعي:

ولمـا قسـا قلـبي وضـاقت مـذاهبي   جعلـت الرجـا مـني لعفـوك سـلما
تعاظمنـــي ذنبـــي فلمـــا قرنتـــه   بعفـوك ربي، كـان عفـوك أعظمـا
فمـا زلـت ذا عفـو عـن الـذنب لم   تـزل تجـود وتعفـو منـة وتكرمـا
فـإن تعـف عـن متمـرض بذنوبـه   ظلـوم، غشـوم، لا يفـارق مأثمـا

وإن تنتقم مني فلست بآيس ... ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
فذنبي جسيم من قديم وحادث ... وعفوك يا ذا المن أعلى وأجسما
عسى من له الإحسان يغفر زلتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدما

ثامناً: حال البكاء خوفاً و خشيتةً و شكراً و الحمداً:

وهو حال ينتاب الذاكر أثناء ذكره محبة لله أو فرحاً بعطائه أو خوفاً من منعه وعذابه، كما أشار النبي ﷺ إلى هذا الحال في حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة فقال: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». [أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

وكما أشار في حديثه ﷺ حيث قال:

«**مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى تُصِيبَ الْأَرْضَ دُمُوعُهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». [أخرجه الطبراني عن أنس]

وقال ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». [أخرجه الترمذي عن ابن عباس]

- وفي هذا الحال يناجي الذاكر ربه بقوله:

مولاي ضاقت بي الأرجاء خذ بيدي ... مالي سواك لكشف الضر يا سندي
حسبي الوقوف بباب الذل منكسراً ... أمرغ الخد في الأعتاب لم أحد
مولاي جد بالرضا والعفو عما مضى ... لقد أتيت ذنوباً أتلفت جسدي
ساء المصير إذا لم تنجني أملي ... طال المدى فاغثني منك بالمدد
دأبي التوسل حاشا أن تخيبني ... علِّي أرى لمحة أشفي بها كبدي
لم يبق لي جلد يارب ترحمني ... أنا المسيء وأنت المحسن الأبدي

يـــا عالمـــاً بالخفايـــا إنـــني تلـــف		رحمـــاك ياملجـــأ الـــراجين خـــذ بيـــدي

تاسعاً: حالٌ مصحوبٌ بشعور الضعف والإفلاس الشديد:

فيرى الذاكرُ نفسه أنه في أشد حالات الضعف الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وفي أشد حالات الإفلاس مما في الدنيا جميعاً فإذا به يقف على باب ربّه باكياً راجياً شاكياً يقول:

أتيـــت إليـــك يـــا رب العبـــاد		بإفلاســـي وذلـــي وانفـــرادي

وهـــا أنـــا واقـــف بالبـــاب أبكـــي		زمانـــاً مـــا بلغـــت بـــه مـــرادي

عســـى عفـــوٌ يُبلّغـــني الأمانـــي		فقـــد بعُـــدَ الطـــريق وقـــلَّ زادي

ومـــالي حيلـــة إلا رجـــائـــي		وفيك على المدى حسن اعتقادي

ولـــو أقصـــيتني وقطعـــت حبلـــي		وحقـــك لا أحـــول عـــن الـــوداد

فجُـــدْ بـــالعفو يـــا مـــولاي وارحـــم		عبيـــداً ضـــلَّ عـــن طـــرق الرشـــاد

وقـــد وافى ببابـــك مستـــجيراً		يخـــاف مـــن القطيـــعة والبـــعاد

عاشراً : حال مصحوب بالحمد والشكر و الثناء:

فبمجـرد بـدء الـذاكر بالـذكر يجـد نفسـه في حالـة انشـراح وسـرور لا يوصـف مـن وراء مـا أنعـم الله عليـه وتفضـل مـن نعـم لا تحصـى، وعطـاء لا يحـد، فمـا يكـون منـه إلا أن يـذكره شـاكراً لـه، حامـداً لـه، مقـراً بفضـله وجوده وكرمه، متمتعاً طيلة ذكره ببكاء الحمد، مع وافر الطمأنينة، والسرور، والسعادة، والانشراح والبسط، والتلذذ بذكره، والشعور بقربه.

– في هذا الحال لا يسع الذاكر إلا أن يناجي ربه بقوله:

مالـك الملـك في يـديك قيـادي ألــهم الحمــد والثنــاء فــؤادي
اهـد قلـبي وخـاطري وضـميري غايـة القصـد مـن كـريم وشـادي
يـا مـلاذي ومـوئلي واعتمـادي ومــــرامي وبغيتــــي ومــــرادي

حادي عشر : حال مصحوب بغفلة طيلة مدة الذكر:

- منذ أن يبدأ الذاكر ذكر الله لا يجتمع قلبه أبداً على الله، وإنما ينشغل بأمر دنياه والتفكير فيها وما جرى بحياته، وكلما أراد العودة إلى الذكر تلبسته غفلات وغفلات، وهنا لا بد من ذكر وصية ابن عطاء الله السكندري: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز" [إيقاظ الهمم في شرح الحكم].

- هذه الحالة تدعو الذاكر أن يسأل عن سبب هذه الغفلة هل هي ذنوب فينبغي له أن يتوب منها، أم انشغال وانغماس في أمور الدنيا فيحاول التخلص منها وإعادة جلسة ذكره لله الذكر الحقيقي القويم، وبعده عن الغفلة وأسبابها.

ثاني عشر: أحوالٌ متفرقة أخرى تمرُّ على الذاكر:

وقد يمرُّ على الذاكر حال واحد مدة ذكره أو قد يمرُّ عليه عدة أحوال وهي متعددة نذكر منها:

١- ذكرٌ مصحوبٌ بالدعاء والالتجاء: وذلك عندما يكون الذاكر

بحاجة ماسّةٍ لما يرغبه ويتمناه.

٢- ذكرٌ مصحوبٌ بالرجاء والأمل: وهو حالٌ ينشرحُ به صدر الذاكر ويشعرُ بقرب الله ومنحه وعطاياه ويأملُ بأن يحقق الله آماله.

٣- ذكرٌ مصحوبٌ بالتضرع والإلحاح من وراء حالة الذاكر واحتياجه إلى أمور يريدها ويرغب في تحقيقها فيجدُ نفسهُ أمام تضرع وإلحاح إلى الله في أن يحقق ما آمله وما هو بحاجة إليه.

٤- ذكرٌ مصحوبٌ بالطمأنينة والتجلي: فيه سرورٌ وأنوارٌ وشعورٌ بالقرب من الله وانشراحٌ للصدر يتمنى الذاكر عندها أن لا ينهي ذكره فقد نسي الدنيا وما فيها و قد تجلى الله عليه بأنسه وقربه وأنواره.

٥- ذكرٌ مصحوبٌ بالألم والجراحة الروحانية فيشعر الذاكر أثناء ذكره بألمٍ لا يعرف مصدره وجراحة روحانية تجعله يتذكرُ كل ما مرَّ معه في حياته من امتحانات وبلايا ومصائب وفتن آلمته وأثرت عليه وربما غيرت مجرى حياته، كلُّ ذلك يعاود ذكراه في جلسة الذكر فيجدُ نفسه باكياً خائفاً من الله أن كلَّ ذلك عقوبة منه لإهماله وتقصيره في جنب الله وارتكابه لذنوب قد غفل عنها فتنتهي جلسة الذكر بحالة من الإنهاك والتعب مما مرَّ معه.

٦- ذكرٌ مصحوبٌ بالقسوة والانكماش والانقباض: فيحسُّ الذاكر بكل ذلك مدّة جلسة الذكر وكأنَّ القلب لا يذكر والصدر قد انكمش وانقبض فيتأثرُ الذاكر بذلك فيراجعُ نفسه ليتذكر سبب ذلك من خطأ أو ذنب وقع فيه من بصره أو سمعه أو كلامه أو معاملاته مع الآخرين فيحاولُ أن يتوب من كل ذلك ويرجو الله أن يعفو عنه.

سئل أحد الذاكرين العارفين فقيل له: نحن نذكر الله تعالى ولا نجدُ في قلوبنا حلاوة، فقال: احمدوا الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته.

٧- ذكرٌ مصحوبٌ بالبسط والإقبال على الله: فإذا بالذاكر ومن أوّل لحظات الذكر يجدُ قلبه مستنيراً ومطمئناً وصدره منشرحاً مسروراً مقبلاً على الله بكليته يشعر بتجليات الله عليه فيأنس بقربه وذكره ويتمنى أن لا تنتهي حالته ويأسفُ عند انتهاء جلسة الذكر.

قال أبو سعيد الخراز وهو أحد العارفين الذاكرين: إذا أراد الله أن يوالي عبداً فتح له باب الذكر فإذا استلذَّ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأُنس.

- هذا الذاكر يردد مناجياً ربه:

رضاك خير من الدنيا وما فيها ... يا منية القلب قاصيها ودانيها
وما ذكرتك إلا همت من طرب ... كأن ذكرك ألحان أغنيها

٨- ذكرٌ مصحوبٌ بالوساوس والتشويش: وذلك من وراء سيطرة الشيطان على الذاكر بسبب غفلته عن الله وكثرة ذنوبه وأخطائه فتنتهي جلسة الذكر ويشعر الذاكر أنه كان في صراع مع شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ولم يتلذذ بمجلس الذكر أبداً وكأن جلسة الذكر مرت عليه كعقوبة تتجلى على جسمه وروحه وهذه الحالة يحتاج الذاكر فيها إلى إعادة الجلسة ومحاولة التخلص من الشيطان بعد التوبة وطلبٍ من الله الغفران عن تقصيره وما كان منه والسعي لطرد الشيطان بإطالة جلسة الذكر، يتحدث النبي ﷺ عن هذه الحالة فيقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ**

فَإِذَا ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ». [أخرجه البيهقي عن أنس]

- وهنا لا بد من ذكر وصية النبي ﷺ واصفاً هذه الحالة دالاً على الدواء فيها: «**وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيراً، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعاً فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِيناً، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

[أخرجه أحمد عن الحارث الأشعري]

- وهنا ينبغي ألا يخاف الذاكر من هذه الوساوس والتشويش والمشاغل التي تمر عليه فهي أشياءٌ موجودٌ في قلبه سابقاً يجب أن يُخرجها الذاكر من قلبه وألا يهتمَّ بها ولا يلقي لها بالاً حتى لا تنقلب إلى مرض الوسواس الذي يودي بالمسلم إلى التهلكة.

- ذكر أحد العلماء أنه رأى الشيطان في منامه فأمسك به وطرحه أرضاً ، وجعل يضربه بعصا بيده والشيطان يضحك، فقال له: ما يضحكك؟

فقال الشيطان: مهما ضربتني فلن تؤلمني بشيء؟

فقال له العالم: وما الذي يؤلمك إذاً؟

فقال الشيطان: لا يؤلمني إلا ذكر الله تعالى فهي تقع علي كالسياط.

- من هذه القصة ينبغي للذاكر أن يستمر في الذكر مهما وسوس له الشيطان وألا يلتفت إليه، فهذا يغيظه ويؤلمه، فينصرف عن الذاكر ويبتعد عنه إن استمر الذاكر في ذكره ولم يترك الذكر بسبب وسوسة الشيطان.

ـ قال ابن عباس: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس" أي: كفّ وانقبض.

- **أخيراً**: ينبغي على الذاكر أن يواظب على جلسة الذكر يومياً صباحاً ومساءً وأن لا يهملها أبداً وأن يعلم أنها من أهم أعماله اليومية التي ينبغي أن يحافظ عليها مهما كثرت عليه واجبات الحياة لأن الذكر هو الدواء الشافي من كل الأمراض النفسية والروحية وهو الوسيلة الأهم في التقرب إلى الله ومحبته والالتجاء إليه كما قال الشاعر:

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ ونترك الذكر أحيانا فننتكس

وقال آخر:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

- قال أحدُ العارفين الذاكرين: للذكر بداية وهي توجه صادق، وله توسط وهو نورٌ طارق، وله نهاية وهو حارٌّ خارق، وله أصلٌ وهو الصفاء، وفرعٌ وهو الفناء، وشرطٌ وهو الحضور، وبساطٌ وهو العمل الصالح، وخاصةٌ وهو الفتح المبين.

- لخص أبو سعيد الخراز وهو من أهل الذكر والصلاح ما يجب على الذاكر من السعي إلى تحقيق المقامات في نفسه لينتقل من مرتبة إلى مرتبة أخرى فقال: إن أوائل الطريق إلى الله التوبة، ثم ينتقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف، ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء، ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين، ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين، ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين، ومن

مقام المطيعين إلى مقام المحبين ومن مقام المحبين إلى مقام المشتاقين، ومن مقام المشتاقين إلى مقام الأولياء، ومن مقام الأولياء إلى مقام المقربين.

–آخراً: ينبغي أن نذكر ملاحظة هامة تخص هذا الموضوع وهو أننا نجد بعض الأشخاص ربما كانوا في مجلس وعظ أو مجلس ذكر فيظهرون تأثرهم الشديد مما هم عليه فيصرخون، ويصيحون، أو يقعون على الأرض كالمغمى عليه ففي هذه الحالة يجب أن نرجع إلى توجيهات النبي ﷺ وأصحابه فيما يتعلق في هذا الموضوع.

– عن أنس قال: وعظ النبي ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق فقال النبي ﷺ: «**من ذا المـُلبسُ علينا ديننا؟ إن كان صادقاً فقد شَهَرَ نفسه، وإن كان كاذباً مَحقه الله**».

[أخرجه أبو بكر بن كامل في معجمه وابن النجار– انظر كنز العمال]

– وقد ذكر عند أنس بن مالك هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال: "لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد.

– قال ابن الجوزي رحمه الله في هذا الموضوع: واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع، ثم قال في حديث النبي ﷺ الذي رواه الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ قَالَ: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ**».

قال أبو بكر الآجري : "ولم يقل صرخنا، ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان

" **[تلبيس إبليس ابن الجوزي، ص ٢٢٥]**.

اللهم اجعلنا من أهل الذكر الحقيقيين الذين يذكرون الله كثيراً وتتحقق فيهم أحوال الذاكرين ومقامات العارفين.

أهم شروحات أحوال الذكر

ذكر علماء القلوب من العارفين بالله وأهل الذكر بعض الشروحات لأحوال الذكر القلبي ومنها:

أولاً: يمر على المبتدئ في الذكر القلبي أثناء ذكره كثيرٌ من الوساوس والمشاغل فينبغي له ألا ينشغل بها، أو يفكر بمحتواها وأن يعلم أنها كانت موجودة في عمق قلبه و أثناء الذكر تخرج من قلبه إلى تفكيره فيجب أن يقذفها الذاكر خارج قلبه وعليه ألا يهتمَّ بها ولا يلقي لها بالاً.

ثانياً: إن المبتدئ بالذكر وفي أول جلسات ذكره يتفضل الله عليه رحمة منه وحناناً، وترغيباً له بأن يفتح على قلبه بالصفاء والنقاء ولذة الذكر وأنوار التجلي والشعور بالأنس والقرب من الله عزَّ وجلَّ وذلك منحةً من الله ليُعرفَهُ فضائل ذكر الله ثم قد يجدُ هذا الذاكر أنه مع الأيام قد تغير هذا الصفاء فينبغي له أن يعلم أنَّ ما كان عليه هو فضلٌ وجود وكرم من الرحمن والآن ينبغي له أن يكتسبَ تلك الأحوال بمجهوده ليحولها إلى مقامات لتَثبُت في قلبه فينبغي لهذا الذاكر أن يصلَ إلى حالٍ يسعى به لإعادة قلبه إلى ما تفضل الله عليه ، وذلك من خلال معرفته للأحوال التي تمرُّ عليه أثناء الذكر التي مرت معنا سابقاً متفهماً معناها ومغزاها وما يجب عليه تجاهها.

ثالثاً: يُمثِلُ العارفون بالله من أهل الذكر القلبي أن الذكر في القلب الذي يُسمّى النقشبندي هو نقشٌ للبند أي (القلب) فيصوّرونه كمن يحفر بئراً ليصل إلى الماء، فالماء هو أنوار الله تعالى وإنهاءُ العمل للوصول إلى الغاية

يتعلّقُ بأمرين : بكمية التراب التي فوقه وبمقدار سرعة الحفر ومدته .

– وقلب الذكر غايته الله والوصول إلى معرفته وأنوار تجلياته وعمق محبته والوصول إلى الغاية يتعلق بكمية الذنوب والشهوات والآثام والأخطاء والمحرمات الموجود في القلب وللوصول إلى الغاية تتعلق بمقدار كمية الذكر وكيفيته فمن حفرَ التراب قليلاً ثم تركه مدةً فإن الرياح سترجع التراب إلى مكان الحفر وسيطول الأمر في الحصول على الماء فمن أراد حفر قلبه للوصول إلى أنوار الله وجب عليه أن يُكثر من الحفر أي من ذكر الله عز وجل ويداوم عليه ولا يتركه حتى لا تعود الغفلات إليه وعندها لن يصل إلى مراده.

رابعاً: يُمثلُ العارفون بالله في الذكر القلبي النقشبندي أن القلب الذي هو مكان الإيمان ومكان الشعور بالله والقرب منه والتلذذ به واستقطاب أنوار الله كالمرآة الصغيرة التي نرى من خلالها الشمس فمع أن الشمس تَكْبُرُهاَ بملايين الملايين من المرات ولكنها لما صُقلت ومُسحَت ونظفت استطاعت أن ترى وتحتوي نور الشمس وكذلك القلب فهو مكانٌ لرؤية نور الله وحبه ومعرفته فإذا صُقلَ ومسح ونُظِّف وذلك بكثرة ذكر الله عزَّ وجلَّ، فإنه يحس بتجليات الله عليه وأنواره ويشعر بقربه ويتلذذ بذكره، وينبغي له عندئذ أن يحافظ على ذكر الله الذكر الكثير، وأن يحمد الله ويشكره على ما أنعم الله عليه من نعم هذه الأحوال، محاولاً الثبات عليها لتصبح مقامات دائمة مستمرة.

خامساً: يُمثّلُ العارفون بالله من أهل الذكر القلبي القلبَ بقدرٍ يُطبخُ فيه فبعد كل طبخ للطعام يجب تفريغ الطعام منه وغسله بشكل جيد، أما إن لم يُغسل وطُبخ فيه مرة ثانية ثم مرات عديدة ثم لم يُغسَل بعدها، زادت الأوساخ حتى يمتلئ القدرُ بها فلا يُطبخ في القدر عندها ولا يُستفاد منه، وفي هذه الموضوع يقول ﷺ:

«**إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ صُقِلَ مِنْهَا، فَإِنْ عَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ** ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]».

[أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

- وقال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةً، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ**». [أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير عن عبد الله بن عمر]

- فالقدْرُ: هو القلب فيجب تنظيفه كلَّ يومٍ بذكر الله حتى لا يبقى فيه من أدران ذلك اليوم شيء وحتى لا تتكاثف تلك الأدران فيقسو قلبه وعندها لا يمكن تنظيفه.

مراتب النفس عند أهل الذكر

– لقد خلق الله النفس البشرية ليمتحنها و قد الهمها الله فجورها و تقواها و بين أن طريق الفلاح من زكى نفسه و اعتنى بها و سعى بها إلى معرفة الله و تطبيق شرعه ، ولم يدسها و يهملها و يتركها تنساق وراء المعاصي و الغفلات و البعد عن الله و شرعه ، بين ذلك سبحانه و تعالى بقوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٧ - ١٠

– لذلك ينبغي أن يسعى المؤمن إلى تزكية نفسه و تطهيرها من أدرانها و أمراضها ، لذلك فإن من أهم ما يساعد على تزكية النفس ذكر الله عز وجل الذكر الكثير .

– فعن طريق ذكر الله عز وجل وخاصة الذكر القلبي تتزكى النفس وتتطهر من أدرانها وتسمو وترتقي من مرتبة إلى أخرى ومن مقام إلى آخر أعلى وأفضل مما هي عليه وتتحول من مرتبة أدنى إلى مرتبة أعلى كما يلي:

المرتبة الأولى: النفس الأمّارة بالسوء:

– وهي المرتبة الأولى التي تظهر في نفس كل إنسان كما قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف: ٥٣].

- والنفس في هذه المرتبة الأولى تميل إلى الطبيعة البدنية الشهوانية فتميل إلى اللذات والشهوات الممنوعة شرعاً فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة كالكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد وغير ذلك من هذه الأمراض، وهذه النفس مأوى لوسوسة الشيطان في غالب النفوس قبل المجاهدة.

- فهذه النفس تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغي، واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء إن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه، تسيطر عليها الدوافع الغريزية ، و تتمثل فيها الصفات الحيوانية ، و تبرز فيها الرغبات الشريرة ، فهي توجه صاحبها إلى ما تهواه من شهوات ، لهذا كانت مأوى كل سوء ، و منبع لكل خلق ذميم .

وهذا حال الغافل الفاسق المنافق الظالم لنفسه.

- و هذه النفس مذمومة تصبح قرينة للشيطان ، و صاحبة له يعدها و يغنيها و يقذف فيها الباطل و يأمرها بالسوء و يزينه لها و يطيل في الأمل و يريها الباطل في صورة تستقبلها و تستحسنها .

- قال الجنيد :(النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء ، المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء)

- قال الإمام الغزالي رحمه الله (أعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أعدى لك من إبليس ، و إنما يتقى عليك الشيطان بهوى النفس و شهواتها ، فلا تغرنك نفسك بالأماني و الغرور ، لأن من طبع النفس الأمن و الغفلة و الراحة و الفترة و الكسل ، فدعواها باطل ، و كل

شيء منها غرور ، و إن رضيت عنها و أتبعت أمرها هلكته ، و إن غفلت عن محاسبتها غرقت ، و إن عجزت عن مخالفتها و اتبعت هواها قادتك إلى النار) (مكاشفة القلوب ص ٢٨)

- أما المؤمن الذاكر فإنه يجاهد نفسه هذه التي تأمره بالسوء وتميل بالشهوات وترغب في اللذات وتملأ القلب بالغفلات فلا يطيعها في معصية ولا غفلة عن الله ولا يترك مجالاً للشيطان ووسوسته ولا يستجيب لندائه ومرغباته.

هذا المؤمن على يقين بما قاله الإمام أحمد رحمه الله في مسنده وهو يتحدث عن النفس: "فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصمه، ولذلك قيل: "أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك".

لذلك فإن المؤمن الذاكر لله ينتبه إلى ما يصدر عن نفسه من أوامر الشر والعصيان فلا يطيعها، يردد قول الشاعر:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

- هذا المؤمن دائماً يراقب الله عز وجل وأنه معه في جميع أحواله فيسعى إلى مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء ليصل إلى رضاء الله وجنته يردد دائماً قول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النازعات: ٤٠-٤١].

- هذا المؤمن في هذه المجاهدة يصل إلى المرتبة الثانية:

المرتبة الثانية: النفس اللوامة:

- وهي التي أقسم الله عز وجل بها تعظيماً لشئنها فقال :

﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢].

- وهي النفس التي تلوم صاحبها عند ارتكابه للمعاصي والذنوب، أو وقوعه في الغفلات، ومن خصائصها أنها تتلون وتتردد في أفعالها بين الخير والشر.

قال مجاهد بن جبير:(النفس اللوامة هي التي تلوم على ما فات و تندم ، فتلوم صاحبها عن الشر لمَ تفعله ؟ و على الخير لمَ لا تستكثر منه .

وقال عكرمة: تلوم على الخير والشر.

- وهي نفس الذاكر الذي تأثر بالذكر في مجاهدة نفسه فتنورت بنور الذكر فهي تارة تغفل عن الله فتقترف المعاصي فينبهها ذكر الله إلى ما فعلت فتندم وتلوم نفسها فهي منبع الندامة لأنها تتردد بين الطاعة والمعصية.

فالنفس اللوامة تكبح جماح النفس الأمارة و تصرفها عن الشر ، ولا شك أن هذا يحتاج إلى قوة تتحكم بالنفس ، و إيمان يضبط الغرائز و يزنها بميزان الشرع ، و يطلق بعض الباحثين عن هذه الحالة من حالات النفس اسم (الضمير) الذي هو عبارة عن حالة نفسية من الانشراح أو الانقباض ، و لكن الأولى أن تسمى (المراقبة) أو وازع القلب.

و النفس اللوامة لا تثبت على حال واحدة ، فهي كثيرة التقلب و التلوث ، فتذكر و تغفل ، و تقبل و تعرض ، و تحب و تبغض ، و تفرح و

تحزن ، و ترضى و تغضب ،و تطيع تارة و تعصي أخرى ، ثم تندم و تلوم نفسها فهي منبع الندامة .

قال الحسن البصري في ذلك : (إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً يقول : ما أردت بهذا ؟ لمَ فعلت هذا ؟ كان هذا أولى من هذا ، أو نحوى هذا الكلام) .

و يصبح المسلم في هذه المرتبة يلوم نفسه إن كان سيئاً على أساءته و إن كان محسناً على تقصيره

المرتبة الثالثة: النفس المطمئنة:

وهي التي تنورت بنور الله ،و سكنت إليه ،واطمأنت بذكره، وأنابت إليه ، واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه ،و رضيت بقضائه، و توكلت عليه ، و ذاقت حلاوة الإيمان به فلم تعد ترضى عنه بديلاً ، و استشعرت لذة المناجاة بين يديه الله سبحانه ، فلم تعد تشغلها عن طاعة ربها مغريات الحياة و زينتها فحق لها أي يخاطبها رب العالمين بقوله:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾[الفجر: ٢٧-٣٠].

قال ابن عباس: "يا أيتها النفس المطمئنة، يقول: المصدقة".

وقال الحسن: "المطمئنة بما قال الله، والمصدقة بما قال".

وحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار فهي التي قد سكنت إلى بارئها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته

وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى عطائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبياً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومليكها، ومالك أمرها كله، وأن رجوعها إليه وأنها لا غنى لها عنه طرفت عين ولا أقل من ذلك.

ويصل الذاكر لله إلى هذه المرتبة عن طريق الإكثار من ذكر الله عز وجل والاستمرار عليه وملازمته والتمسك بالطاعات والبعد عن المعاصي والمحرمات فتصبح نفسه مطمئنة بالله وقد تخلت عن صفاتها الذميمة وسعت إلى الكمالات، فانتقلت من التلون والتردد في النفس اللوامة إلى التمكن والمتابعة والالتزام والاستقامة لتصبح نفساً مطمئنة كما وصفها الله عز وجل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨].

المرتبة الرابعة : النفس الملهمة:

وهي النفس التي منّ الله عليها فألهمها فضلاً منه وكرماً فعل الخيرات وترك المنكرات وحب الطاعات، وهي النفس الذاكرة لله ذكراً كثيراً فيكرمها الله بأن يلهمها الإيمان اليقيني والتزام العبادات والطاعات وتطبيق الشريعة في كل شؤون حياتها والاستقامة على أوامر الله والبعد عن نواهيه، ويلهمها محبة العلم والعلماء والمحافظة على مجالسهم والانتفاع بهم عندها يتمكن هذا

الذاكر من امتلاك الأخلاق الفاضلة كالحب والإيثار والتواضع والقناعة والسخاوة والصبر والتحمل والشكر وغير ذلك ويلهمها الله حب الخير لها ولكل من حولها والسعي الحثيث له دائماً وأبداً.

المرتبة الخامسة: النفس الراضية:

وهي النفس المطمئنة الراضية التي ذكرت في قوله تعالى:

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[المجادلة: ٢٢].

- وهي التي رضيت عن الله تعالى في كل أحوالها و في جميع أقداره خيرها وشرها وفي كل ما يأتيها منه سبحانه وتعالى وشأنها هذا التسليم والتفويض والتلذذ بقضاء الله وقدره ولا يصل المؤمن إلى هذه المرتبة إلا بكثرة ذكر الله في كل أحواله مع مراقبة الله في كل شؤونه ، وتطبيق شرع الله بكل أوامره، والانتهاء عن نواهيه والاستقامة التامة على ذلك مع المحافظة على جميع الفرائض والنوافل مقتنعة بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١ ﴾
[التوبة: ٥١]

المرتبة السادسة: النفس المرضية:

- وهي التي رضي الله تعالى عنها كما في الآية السابقة فيظهر فيها أثر رضاء الله تعالى بكثرة ذكرها له مع دوام محبتها له، وعدم الغفلة عنه مع انشراح الصدر و طمأنينة القلب و رضا النفس ، وابتسامة الوجه، مع السعي الحثيث إلى ما يقربها من الله عز وجل في النية أو القول أو العمل.

- قال أهل الذكر في هذه المرتبة إنها الخطوة الأولى الحقيقية في معرفة الله عز وجل المعرفة الحقيقية، والحب الحقيقي، والتلذذ بذكره، والأنس بقربه وحب مناجاته.

المرتبة السابعة: النفس المستقيمة:

- وهي النفس التي تسعى إلى الكمالات من وراء ذكر الله عز وجل، ومراقبته، والشعور بقربه حتى تصبح الكمالات لهذه النفس طبعاً وسجية، فهي تترقى في الكمال مقاماً بعد مقام، وفي كل مقام على أعلى مستواه فيضع صاحب هذه النفس نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فيسعى صاحب هذه المرتبة للإكثار من تلاوة القرآن والمسارعة في حفظه، والعمل بمقتضاه، مع تعلم السيرة النبوية وتطبق إرشاداتها على أعلى المستوى، وقراءة تراجم الصحابة والتابعين، والعلماء العاملين، وأهل الله وأوليائه، وأهل الذكر والإيمان والعرفان، والاستفادة من سيرهم والتأسي بهم، وملازمة أهل زمانه منهم، والعمل بتوجيهاتهم وإرشاداتهم، وكما يسعى لمصاحبة الصالحين والانتفاع بهم، فيقوم داعياً إلى الله عز وجل ومرشداً لكل من حوله من الأهل والأرحام، والجيران، ومن يستطيع الوصول إليهم يترنم بقوله تعالى:

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ**

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

- هذا المؤمن في هذه المرتبة يسعى دائماً للاستقامة على كل ما تحتاجه هذه المرتبة من التزام واستقامة ليتحقق فيه قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت: ٣٠-٣٢].

آخراً: قد تتقلب النفس بين مراتبها بين الفترة والأخرى، بل وفي اليوم الواحد، فالموفق من يلاحظ نفسه دائماً ويراقبها ويحاسبها ويجاهدها، ويسعى بها للمرتبة الأفضل في كل أحوالها.

- لا ينسى دائماً أن يضع بين عينيه وفي قلبه قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحشر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[آل عمران ٣٠].

- كان سيدنا عمر رضي الله عنه يوصي المؤمنين قائلاً: **"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل توزنوا فإنه أخف عليكم في**

الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"[مسند الفاروق لابن كثير].

– وذكر عن الحسن أنه قال: لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه.

وكان يقول: إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته.

ـ ويقول: الْمؤمِنُ قوَّامٌ عَلى نَفْسه للهِ وإنّما يَخُفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ في الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامِةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الأَمْرَ مِنْ غَيرِ مُحَاسبةٍ.

إِنَّ الْمُؤمنَ يَفْجَؤهُ الشَّيْءَ يُعْجبُه فيقولُ: واللهِ إنّي لأَشْتَهِيكَ وإنَّكَ لمِنْ حَاجتِي وَلَكنْ واللهِ مَا مِنْ صِلَةٍ إِلَيْكَ هَيْهَاتَ حِيلَ بَيْنِي وَبينِكَ وَيَفْرطُ مِنْهُ الشَّيءُ فَيرجعُ إلى نَفْسِه فَيقُولُ: مَا أَرَدْتَ إِلى هَذا، مَا لِي وَلِهَذَا، وَاللهِ لا أعودُ إلى هَذَا أَبَدًا إِنَّ الْمُؤمِنينَ قَوْمٌ وَفَقَهُم القُرآنُ وَحَالَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ هَلَكتهِمْ إنّ المؤمنَ أسيرٌ في الدُّنْيَا يَسْعَى في فَكَاك رَقَبته لا يَأْمِنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللهَ لِيَعْلَم أَنَّه مَأْخُوذٌ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَفي بَصَرِهِ وفي لِسَانِهِ وفي جَوارِحِهِ.

– وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

أي: أضاع نفسه وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لما له مضيعاً لدينه.

– وَذَكَرَ الإِمْامُ أَحْمدُ عنْ وَهْبٍ قَالَ: مكْتُوبٌ في حِكْمَةِ دَاوُود. حَقّ

عَلَى العَاقِلِ أَنْ لا يَغْفلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعْ إِخْوَانِهِ الذين يُخْبِرُونَهُ بِعُيوبِهِ وَيَصَدُّونَه عَنْ نَفْسِهِ، وَسَاعةٍ يُخَليَّ فيهَا بَيْنَ نفسه وَبَيْنَ لذّتِهَا فِيمَا يَحُلّ وَيَجْمُلُ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعةِ عَوْنًا عَلَى تِلكَ السَّاعَاتِ وَإِجْمَامًا للقُلوبِ. [موارد الظمآن لدروس الزمان].

- اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةِ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وختامـــــاً: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠].

الفهرس

٢- القلب المريض

٣- القلب السليم

كيف الوصول إلى القلب السليم :

أولاً: البحث عن مرب عارف بالله و التتلمذ على يديه

ثانياً: السعي الحثيث إلى تعميق الإيمان بالله في القلب.

ثالثاً: المحافظة على هداية الله لهذا القلب.

رابعاً: الاستجابة لما يدعو إليه الله ورسوله.

خامساً: المحافظة على تلاوة القرآن الكريم.

سادساً: المحافظة على ذكر الله الذكر الكثير.

سابعاً: صحبة المؤمنين الصادقين ومجالستهم.

ثامناً: البعد عن المعاصي والآثام والذنوب.

تاسعاً: الحذر الشديد من الوقوع في أمراض القلب.

١- عمى القلب.

٢- غفلة القلب.

٣- موت القلب.

٤- قسوة القلب.

٥- سموم القلب.

- فضول الكلام.

- فضول النظر.

- فضول المخالطة.

- فضول الطعام.

- فضول النوم.

- عاشراً: الانتباه الشديد لما يتعلق بالأنواع الأربعة للقلوب.

- حادي عشر : الانتباه لمحتوى القلب.

- ثاني عشر: البعد عن الفتن.

- ثالث عشر: السعي إلى صحة القلب.

- ذكر الله القلبي.

-حقيقة ذكر الله القلبي

- علاقة الطريقة النقشبندية بالذكر القلبي.

- طريقة الذكر القلبي الخفي النقشبندي.

- الذكر باللفظ المفرد . الله . الله . الله.

- آداب الذكر القلبي.

- أهمية الذكر الجماعي وخاصة في المساجد.

- أحوال الذكر.

اولاً: حال الحضور القلبي الدائم مع الله تعالى .

ثانياً: حال التفكر في مخلوقات الله للوصول إلى عظمته سبحانه.

ثالثاً: حال حب الله و القرب منه و التلذذ بذكره .

رابعاً: حال الرغبة و الرهبة مع التضرع و الخيفة .

خامساً: حال الخشوع و الهيبة و الحياء و الاعتذار.

سادساً: حال الطمأنينة اثناء الذكر مع الانشراح .

سابعاً: حال الوجل و الخوف و الفزع .

ثامناً: حال البكاء خوفاً و خشيةً أو شكراً و حمداً .

تاسعاً: حال مصحوب بشعور الضعف و الإفلاس الشديد .

عاشراً : حال مصحوب بالحمد و الشكر و الثناء .

حادي عشر : حال مصحوب بغفلة طيلة مدة الذكر .

ثاني عشر : أحوال متفرقة أخرى تمر على الذاكر .

- أهم شروحات أحوال الذكر.

- مراتب النفس عند أهل الذكر.

المرتبة الأولى : النفس الأمارة

المرتبة الثانية : النفس اللوامة

المرتبة الثالثة : النفس المطمئنة

المرتبة الرابعة : النفس الملهمة

المرتبة الخامسة : النفس الراضية

المرتبة السادسة : النفس المرضية

المرتبة السابعة : النفس المستقيمة